الأزهر وجوهر الصقلى

تأليف

حازم إسماعيل

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب :الأزهر وجوهر الصقلى
المؤلـــف : حازم إسماعيل
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت-
رقم الإيداع :5825
طبعة أولى : 2009

فهرسة أثناء النشر

حازم إسماعيل

الأزهر وجوهر الصقلى / تأليف حازم إسماعيل .-[القاهرة] مؤسسة دار الفرسان ، 2009
112 ص ؛ 24 سم
رقم الإيداع : 5825
1- الأزهر (جامع)
2- جوهر الصقلى ، جوهر بن عبد الله الرومى، 992 م
3- مصر - تاريخ - العصر الفاطمى
أ. العنوان
215.96216

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ظل الأزهر الذى انشئ قبل أكثر من الف عام منارة للفكر الاسلامى المستنير , فكان جامعاً وجامعة ومؤسسة للتعليم والعلم والبحث فى علوم الدين والدنيا , فاتحاً ابوابه للطلاب والعلماء من ابناء المسلمين فى كل أنحاء العالم.

والأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ الفكر الإسلامى ودراسته ونشره , وتحمل الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب . وحفظت الأمة الإسلامية للأزهر الشريف هذه المكانة , وكسبت مصر بإحتوائها له مكانة خاصة فى العالم الإسلامى.

فهو مسجد جامع تقام فيه الصلوات وتلقى على منبره الخطب والدروس الجامعة .. وهو قلعة علمية متميزة لتعليم علوم الدين واللغة وعلوم الدنيا .وهو حصن أمين لمصر والمصريين يقود نضالهم الوطنى ضد الطغاة والمتسعمرين .

وهو جامعة عريقة تحفل بمختلف وهو جامعة العلوم تخرج العلماء والدعاة الذين يجربون أنحاء العالم يمثلون مصر فى محافلها وجامعاتها ومدارسها ... وهو مقصد عشرات الآلاف سنويا من طلاب العالم الذين يلتمسون التعلم فى أزهر مصر وهو جامعة لتخريج أجيال جديدة تنكب على التعليم الأزهرى الفريد .

فالأزهر ليس مجرد جامع وجامعة .. بل هو مؤسسة تنطلق بمصريتها العربية الإسلامية ومنارة تهدى العالم كله لعلوم الدين والدنيا من المنظور الاسلامى.

والأزهر انتشر فى جميع أنحاء مصر .. بدءا من جامعة الأزهر التى أنشئت داخل أعمدة الأزهر ، منذ أن كان كل أستاذ عالم له عمود يجلس إلى جانبه وحوله تلامذته , ثم أروقة الأزهر ، ثم إنشاء الكليات الأزهرية فى المنطقة التى تلى بيت الصلاة بالجامع الأزهر ثم إنشاء جامعة الأزهر الحديثة بمدينة نصر والتى تجمع كليات البنات بمفردها وكليات البنين العلمية والدينية بمفردها ثم إلى الكليات الأزهرية بمحافظات مصر.

فالأزهر ليس جامعا وجامعة فحسب .. بل هو رمز مصر المصريين. رمز مصر والمصريين فى تاريخهم التليد . ورمز مصر والمصريين فى حاضرهم المجيد .. ورمز مصر والمصريين فى مستقبلهم السعيد .وسيظل دوما.. رمز مصر والمصريين .

من هنا جاء هذا الكتاب الذى بين أيدينا لإبراز دور جوهر الصقلى فى انشاء القاهرة وكذلك وأهمية ودور الجامع الأزهر الشريف بالنسبة لمصر وبالنسبة للعالم الإسلامى فى بعث ضوء التنوير إلى الدول الغير ناطقة بالعربية ، من خلال شرح لتاريخه وتطوراته إلى أن وصل إلى جامعة إسلامية .

المؤلف

نشاة الدولة الفاطمية

تشكلت معالمها الفكرية والعسكرية في المغرب الإسلامي على يد رجل يسمى ميمون القدّاح، وكان داعيا من دعاة الإسماعيلية، وهي طائفة تجعل الإمامة في إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي قسيم الفرقة الموسوية – نسبة إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر.

وسميت بالإسماعلية نسبة لإسماعيل، وتُسمى بأسماء مختلفة مثل السبعية – لقولهم بالأئمة السبعة من علي إلى إسماعيل والحسن بن علي بن أبي طالب.

وتسمى كذلك بالباطنية، لعدة أسباب مجتمعة، منها: باطنية عقيدتهم ووجوب كتمانها، وقولهم؛ إنّ للشريعة ظاهرا وباطنا، وهما مختلفان في الحقيقة، ولقولهم؛ إنّ حق تفسير النصوص الشرعية هو للإمام المستور – إسماعيل بن جعفر – وهي كلها تفسيرات لمعنى واحد .

ميمون القداح؛ ادعى نسبته لمحمد بن اسماعيل – ابن إمام الإسماعيلية – وأنه من أحفاده، فهو ينتهي نسبه فيما زعم إلى فاطمة رضي الله عنها، ولذلك يَطلقون على أنفسهم لقب الفاطميين.

ولعوامل مساعدة، منها؛ عامل الجهل عند بعض طوائف المغرب، استطاع تكوين دولته في المغرب وبسط سلطانه في شمال إفريقية، بعد انحلال دولة الأغالبة [297 هـ، 909 م] ثم خلفه في الحكم ابنه عبيد الله، الملقب بالمهدي – ولذلك سميت دولته بالعبيدية لأن كثيرا من المأرخين ينفون نسبتهم لآل البيت، ومن هؤلاء المؤرخين؛ ابن عذاري، وابن تغري بردي، وابن خلكان، والسيوطي، وبعضهم يؤيد النسبة كابن الأثير الجوزي، وابن خلدون، والمقريزي –

استطاع عبيد الله أن يكمل تشكيل الدولة العبيدية فكرا وتنظيما وسلطانا، حتى أنه أرسل جيوشه سنة 302هـ، 914 م إلى الإسكندرية، وبعدها بعامين؛ اكتسح الدلتا المصرية .

ولوجود المذهب المالكي وسلطانه على عامة أهل المغرب؛ لم يستقر له الحكم هناك، فاتضح له أن المغرب لن يكون مكانا لاسقرار دولته .

وعن طريق المراسلات بين هذه الدولة وبعض القادة العسكريين في مصر، وتمهيد شيوخ الطرق الصوفية واعتقادهم الدعوة المهدوية المزعومة، استطاع جوهر الصقلي – كان يلقب بالرومي– ، وقد نشأ مسيحيا ونسبته لجزيرة الصقلية، إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط، وكانت قبل الحروب الصليبية خلال تلك الفترة؛ مسلمة، قبل أن تقتلع من أيدي المسلمين.

استطاع جوهر الصقلي القائد العسكري للخليفة العبيدي – المعز لدين الله – أن يدخل مصر – الفسطاط - سنة [358 هجرية] بلا قتال، بل قد خرج أصحاب العمائم والطرق الصوفية إلى خارج الفسطاط لاستقباله !

جوهر الصقلي

جوهر الصقلي ويسمى ايضا بجوهر الرومي وكان أهم وأشهر قائد في التاريخ الفاطمي وهو مؤسس مدينة القاهرة وباني الجامع الأزهر. ولكفاءته عينه المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين وزيرا في عام958 م ثم قائدا عاما فكان محاربا عظيما ودبلوماسيا كفؤا واداريا ناجحا ورئيسا عادلا اتصف بالرحمة.

سيرته:

ولد جوهر الصقلي عام 903ميلادي وكان والده يعرف باسم عبد الله الصقلي وكان مملوكا من اصل كرواتي من اقليم باجانيا الذي كان يخضع للإمبراطورية الكرواتية. أسر أثناء الحرب بين كرواتيا وفينيسيا وباعه تجار نورمانديون كعبد في صقلية التي ينتسب عليها اسمه إلى يومنا.

تلقي جوهر تعليمه بالنظامين الأوربي والعربي مما جعله ملما بالتيارين الثقافيين السائدين في منطقة البحر المتوسط في تلك الفترة وبعد عدة سنوات باعه تجار رقيق إلى الخليفة المنصور بالله الفاطمي.

وأصبح بعد ذلك قائد القوات الفاطمية في عهد المعز لدين الله الذي اعتقه وجعله من المقربين إلى البلاط الفاطمي.

يقول بن خلكان:

"وكان المعز لدين الله ولي عهد أبيه إسماعيل فاستقل بالأمر في آخر سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وسار في نواحي إفريقية ليمهد مملكته فأذل العصاة واستعمل على المدن غلمانه واستخدم الجند. ثم جهز مولاه جوهرا القائد في جيش كثيف فسار فافتتح سجلماسة وسار حتى وصل إلى البحر المحيط وصيد له من سمكه وافتتح مدينة فاس وأرسل بصاحبها وصاحب سبتة أسيرين إلى المعز ووطأ له جوهر من إفريقية إلى البحر سوى مدينة سبتة فإنها بقيت لبني أمية أصحاب الأندلس"

وسرعان ما اثبت جوهر كفائته بأن ضم مصر التي كانت تحت حكم الإخشيديين وسلطان العباسيين إلى سلطان الفاطميين.

أنشأ مدينة القاهرة عام 969 بامر من الخليفة المعز لدين الله بهدف جعلها عاصمة للدولة الفاطمية ومركزا لنشر المذهب الإسماعيلي. ثم امر ببناء الجامع الأزهر ليكون مركزا علميا ودينيا عالميا.

وواصل توسعاته إلى أن وصل فلسطين وأخضعها للحكم الفاطمي وتوقف عند وصوله الشام التي كانت تحت حكم القرامطة ولم يستطع فتحها.

حكم جوهر الصقلي مصر أربع سنوات نيابة عن الخليفة الفاطمي، وبعد وصول المعز إلى القاهرة لم يعهد إليه بمهمة جديدة حتى ظهور خطر القرامطة في بلاد الشام فاستعان المعز لدين الله به سنة (364هـ= 974م) لقتالهم.

فتح مصر وبناء القاهرة:

نتيجة الضعف الذى أصاب الدولة العباسية في بغداد تمكن الفاطميون من تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على مصر في شعبان سنه 358هـ/يونيو 969م ، عندما دخل جوهر الصقلى الفسطاط وأصبحت بذلك مصر ولاية تابعة للخلافة الفاطمية التى اتخذت من المغرب عاصمة لها منذ عهد الخليفة المهدى في سنه 297هـ/909م . إلى أن وصل الأمر للخليفة المعز لدين الله أبو تميم سعد الذى تولى الخلافة الفاطمية في المغرب سنه 341هـ/952م ، وفكر في الاستيلاء على مصر وضمها للخلافة الفاطمية خاصة مع اضمحلال النفوذ العباسى .

وبدخول جوهر الصقلى إلى مصر زال نفوذ الإخشيديين والعباسيين عنها .. وأصبح نفوذ الدولة الفاطمية يمتد من المحيط الأطلسى غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً . وقد وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى مصر في رمضان 362هـ/ يونيو 973م واتخذها مقراً له ، وأصبحت مصر منذ ذلك الحين وطيلة حكم الفاطميين دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، وأصبحت القاهرة عاصمة لهذه الدولة .

فتح مصر على يد جوهر الصقلى

ولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية في سنة 341هـ= 952م خلفا لأبيه المنصور أبي طاهر إسماعيل، الخليفة الثالث في قائمة الخلفاء الفاطميين، وكان المعز رجلا مثقفا يجيد عدة لغات مولعا بالعلوم والآداب متمرسا بإدارة شئون الدولة وتصريف أمورها كيسا فطنا يحظى باحترام رجال الدولة وتقديرهم.

وانتهج المعز سياسة رشيدة، فأصلح ما أفسدته ثورات الخارجين على الدولة، ونجح في بناء جيش قوي، واصطناع القادة والفاتحين وتوحيد بلاد المغرب تحت رايته وسلطانه ومد نفوذه إلى جنوب إيطاليا.

ولم تغفل عينا المعز لدين الله عن مصر، فكان يتابع أخبارها، وينتظر الفرصة السانحة لكي يبسط نفوذه عليها، متذرعا بالصبر وحسن الإعداد، حتى يتهيأ له النجاح والظفر

الفاطميون ومصر

تطلع الفاطميون منذ أن قامت دولتهم في المغرب إلى فتح مصر فتكررت محاولتهم لتحقيق هذا الحلم غير أنها لم تكلل بالنجاح، وقد بدأت هذه المحاولات منذ عام 301هـ= 913م أي بعد قيام الدولة بأربع سنوات، الأمر الذي يؤكد عزم الخلفاء الفاطميين على بسط نفوذهم على مصر، وكان فشل كل محاولة يقومون بها تزيدهم إصرارا على تكرارها ومعاودتها مرة بعد مرة، ونبهت هذه المحاولات الخلافة العباسية إلى ضرورة درء هذا الخطر، فدعمت وجودها العسكري في مصر، وأسندت ولايتها إلى محمد بن طغج الإخشيد، فأوقفت تلك المحاولات إلى حين.

حالة مصر الداخلية قبل الفتح

كانت مصر خلال هذه الفترة تمر بمرحلة عصيبة، فالأزمة الاقتصادية تعصف بها والخلافة العباسية التي تتبعها مصر عاجزة عن فرض حمايتها لها بعد أن أصبحت أسيرة لنفوذ البويهيين الشيعة، ودعاة الفاطميين يبثون دعوتهم في مصر يبشرون أتباعهم بقدوم سادتهم، وجاءت وفاة كافور الأخشيد سنة (357هـ=968م) لتزيل آخر عقبة في طريق الفاطميين إلى غايتهم، وكان كافور بيده مقاليد أمور مصر،

ويقف حجر عثرة أمام طموح الفاطميين للاستيلاء عليها. حيث يقول القفطى : إن المعز كان قد عزم على تجهيز عسكر إلى مصر فسألته أمه تأخير ذلك لتحج خفية فأجابها وحجت. فلما وصلت إلى مصر أحس بها كافور الإخشيذي الأستاذ فحضر إليها وخدمها وحمل إليها هدايا وبعث في خدمتها أجناداً فلما رجعت من حجها منعت ولدها من غزو بلاده. فلما توفي كافور بعث المعز جيوشه فأخذوا مصر.

وحين تولى زمام الأمور أبو الفضل جعفر بن الفرات ولم تسلس له قيادة مصر، وعجز عن مكافحة الغلاء الذي سببه نقص ماء النيل، واضطربت الأحوال، وضاق الناس بالحكم، كتب بعضهم إلى المعز يزينون له فتح مصر ولم يكن هو في حاجة إلى من يزين له الأمر؛ إذ كان يراقب الأوضاع عن كثب، ويمني نفسه باللحظة التي يدخل فيها مصر فاتحا، فيحقق لنفسه ما عجز أجداده عن تحقيقه.

مقدمات الفتح

كان أمل الفاطميين التوسع شرقا ومجابهة الخلافة العباسية للقضاء عليها، وإذا كانت دعوتهم قد أقاموها في أطراف العالم الإسلامي حتى تكون بعيدة عن العباسيين، فإن ذلك لم يعد مقبولا عندهم بعد أن قويت شوكتهم واتسع نفوذهم، وأصبحت الفرصة مواتية لتحقيق الحلم المنشود، والتواجد في قلب العالم الإسلامي.

وقد بدأ الفاطميون منذ سنة (355هـ= 996) استعدادهم للانتقال إلى مصر، واتخاذ الإجراءات التي تعينهم على ذلك، فأمر المعز بحفر الآبار في طريق مصر، وبناء الاستراحات على طوال الطريق، وعهد إلى ابنه "تميم" بالإشراف على هذه الأعمال.

فتح مصر

حشد المعز لدين الله لفتح مصر جيشا هائلا بلغ 100 ألف جندي أغلبهم من القبائل البربرية وجعل قيادته لواحد من أكفأ القادة هو جوهر الصقلي الذي نجح من قبل في بسط نفوذ الفاطميين في الشمال الأفريقي كله وخرج المعز في وداعهم في 14 من ربيع الأول 358هـ = 4 من فبراير 969م ولم يجد الجيش مشقة في مهمته ودخل عاصمة البلاد في 17 من شعبان 358هـ= 6 يوليو 969 م دون مقاومة تذكر، وبعد أن أعطى الأمان للمصريين.

استأنف الجيش المسير حتى وصل إلى الإسكندرية؛ فدخلها دون مقاومة، ومنع جوهر الصقلي جنوده من التعرض لأهلها، وأمرهم بالتزام الهدوء والنظام، مستهدفًا من ذلك التقرب من المصريين والتودد إليهم، وكانت مصر في هذه الفترة تمر بمرحلة عصيبة؛ فالأزمة الاقتصادية تعصف بها، والخلافة العباسية التي تتبعها عاجزة عن حمايتها.

الطريق إلى الفسطاط:

ولما علم أهل الفسطاط بقدوم الفاطميين اختاروا واحدًا من كبار العلويين بمصر هو "أبو جعفر مسلم "على رأس وفد، ليفاوض القائد الفاتح ويطلب الصلح والأمان، فالتقى الوفد به عند قرية" أتروحة" على مقربة من الإسكندرية في (18 من رجب 358هـ= 18 من يونيو 969م) فأجاب جوهر طلب الوفد، وكتب عهدًا تعهد فيه بأن يطلق للمصريين حرية العقيدة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وأن ينشر العدل والطمأنينة في النفوس، وأن يقوم بما تحتاجه البلاد من ضروب الإصلاح.

غير أن أنصار الإخشيديين رفضوا عهد الأمان وعزموا على القتال، إلا أنهم لم يثبتوا في المعركة التي دارت بينهم وبين جوهر في "الجيزة "في (16 من شعبان 358هـ= 5 من يوليو 969م)، واضطر أهالي الفسطاط إلى تجديد طلب الأمان من جوهر بعد هزيمة الإخشيديين، فقبل جوهر الصقلي التماسهم، وأذاع على الجند بيانًا حرم فيه أن يقوموا بأعمال العنف والنهب؛ فهدأت النفوس واطمأن الناس وعاد الأمن إلى نصابه، وفي اليوم التالي دخل جوهر عاصمة البلاد إيذانًا ببدء مرحلة جديدة في تاريخ مصر والشام. وقد ذكر ذلك كل من المقريزى وابن زولاق.

وهنا يقول المقريزى فى المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار الجزء الثالث (128 من 167) : " جسرا مصر والجيزة: اعلم أن الماء في القديم كان محيطًا بجزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر وبين الروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وبر الجيزة جسر من خشب يمر عليهما الناس والدواب من مصر إلى الروضة ومن الروضة إلى الجيزة وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهي موثقة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدّة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات".

وقال ابن زولاق في كتاب إتمام أمراء مصر: ولعشر خلون من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة سارت العساكر لقتل القائد جوهر ونزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح والعدّة وضبطوا الجسرين وذكر ما كان منهم إلى أن قال في عبور جوهر: أقبلت العساكر فعبرت الجسر أفواجا أفواجا وأقبل جوهر في فرسانه إلى المناخ موضع القاهرة".

بناء وتخطيط القاهرة

أو مدينة الفسطاط القديمة

وما كاد يستقر الأمر لجوهر الصقلي حتى بدأ في إنشاء عاصمة جديدة لدولته الفتية، ووضع أساسا لها في الشمال الشرقي للفسطاط، فبنى سورا خارجيا من الطوب اللبن يحيط بمساحة تبلغ 340 فداناً، جعل سبعين منها للقصر الكبير مقر الحكم والسلطان، وخمسة وثلاثين فداناً للبستان، ومثلها للميادين، وتوزعت المساحة المتبقية –وقدرها مائتا فدان– على القبائل الشيعية والفرقة العسكرية، حيث اختارت كل منها مكاناً خاصا بها عرفت به مثل زويلة، وكان ذلك نواة لعاصمة الدولة الفاطمية في المشرق، التي سميت في بادئ الأمر بالمنصورية، ثم عرفت بعد ذلك بالقاهرة.

يقول ناصري خسرو . الذي زار مصر بين(1046 -1049) إن القاهرة واحدة من أكبر مدن العالم وبها مالايقل عن20,000 متجر مملوكة للخليفة, وقد شيدت المنازل بعناية فائقة حتي ليخال الي الرائي أنها قد شيدت من أحجار كريمة لامن ملاط وقرميد وأحجار عادية, وكانت منازلها منفصلة الواحدة عن الأخري وكل منها مزودة بحديقة أجملها يحيط قصر الخليفة وكانت السواقي ترفع الماء اللازم لتلك الحدائق.

وقد بني جوهر الصقلي في شمال القاهرة ديرا للأقباط مكان الدير الذي هدمه عندما شرع في بناء القاهرة, وكان معروفا باسم(دير العظام) وقد نقل عظام القديسين الذين كانوا به الي دير آخر تم بناؤه يحمل اسم(دير الخندق) وكان يقع في المنطقة المعروفة حاليا باسم(حدائق القبة) كان يحيط بمدينة القاهرة سور من اللبن يعلوه طريق دائري يتسع لمرور فارسين وفي السور الذي كان يفصل المدينة عن القطائع والعسكر فتح بابين متقاربين هما(بابا زويلة) وكانا واقعين شمالا من الباب الحالي الذي يحمل نفس الاسم.

باب زويلة

من هذا الباب التاريخي الشهير.. باب زويلة.. دخل أمير المؤمنين الخليفة المعز لدين الله, قبل ألف عام الى عاصمتها الجديدة التي أمر بتأسيسها (القاهرة), وهنا أيضا على باب زويلة شنق طومان باي سلطان مصر وبطل نضالها, وقائد مقاوماتها ضد الغزو العثماني.. فمن بين كل أبواب القاهرة القديمة.. النصر, الفتوح, القراطين, سعادة ,التوقين, الشعرية وغيرها من الأبواب التي بناها حكام مصر لترد عنهم كيد المعتدين ,وليدق عليها الزائرون فتفتح لهم مصاريعها, واختلف علماء الآثار حول عددها, ولم يتبق منها سوى عدد محدود للغاية لا يتعدى أصابع اليد الواحدة,

من بين كل هذه الأبواب, سيظل باب زويلة أكثرها شهرة وأوثقها ارتباطا بأيام لها تاريخ, أيام كانت فيها مصر مقرا للخلافة الاسلامية, فما هي حكاية باب زويلة؟ ولماذا سمي بهذا الاسم؟ وما هي قصة هذا السلطان الشهيد طومان باي الذي تولى السلطنة بعد قنصوه الغوري , ولمدة مائة يوم فقط, نادى فيها على الفتوات والصبيان الشطار ليشتركوا مع قوات المماليك في قتال الغزاة العثمانيين والدفاع عن بلادهم, فكتبوا أروع الملاحم بدمائهم في شوارع القاهرة, وكيف جرت وقائع شنقه؟.. اعتبارات عسكرية

لم تظهر فكرة بناء البوابات حول المدن في مصر سوى في عصر الدولة الفاطمية, عندما جاء جوهر الصقلي يقود قوات الخليفة المعز لدين الله من القيروان لدخول مصر, حيث قام بتأسيس مدينة القاهرة التي لم تعرف بهذا الاسم إلا بعد أربع سنوات من انشائها وعند قدوم المعز لدين الله الى مصر, حيث يذكر لنا المقريزي أن حصن القاهرة قد أطلق عليه في أول الأمر اسم المنصورية تيمنا بتلك الضاحية التي أنشأها المنصور والد المعز بجوار القيروان, ثم تغير الاسم الى القاهرة ثم أطلق عليها (القاهرة المحروسة) في عهد الخليفة الحاكم, إلا أنه في عهد المستنصر أصبح اسمها (المعزية القاهرة المحروسة) ثم تغير مرة أخرى الى المعزية القاهرة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله.

ومن المرجح تاريخيا أن يكون القائد جوهر الصقلي قد اختار لها هذا الموقع لاعتبارات عسكرية, ذلك أن جبل المقطم الذي يقوم ناحية الشرق منها يعتبر بمثابة خط دفاعي حصين وفرته الطبيعة, ولم يكن في المكان كله سوى دير قبطي قديم (دير العظام) وبستان جميل يعرف بحديقة كافور الذي حكم مصر قبل مجئ الفاطميين, وما أن وضع العمال القوائم الخشبية لتحديد الحصن الجديد أو القصر الجديد الذي سيكون مقرا للخليفة الفاطمي حتى حدثت واقعة لها العجب يحكيها لنا المؤرخون..

فقد وقف المنجمون المغاربة يتشاورون فيما بينهم لتحديد موعد بدء العمل, وكانت الاجراس معلقة على الحبال الممتدة من عمود لآخر, وذلك انتظارا للموعد الذي يحدده أولئك الحكماء, وحتى يبدأ العمال.. إلا أن شيئا ما قد حدث أصاب الجميع بالدهشة والذهول ,إذ وقف طائر على طرف أحد الأعمدة, فأخذت جميع النواقيس تدق, ومن ثم بدأت المعاول تحفر, ولحظة دق الأجراس, كان كوكب المريخ في صعود, والمريخ أحد أسمائه هو القاهر ..ومن هنا بدأت أولى خطوات بناء القاهرة عبر الزمن..!

ومنذ أسس جوهر الصقلي مدينة القاهرة, كان حريصا كل الحرص على بناء سور حولها تتخلله ثمانى بوابات ,ولجوهر أسباب عديدة لهذا, أهمها أن الدولة الفاطمية التي آل اليها حكم مصر كانت شيعية المذهب, بينما أهل مصر على المذهب السني, وهو مذهب الدولتين العباسية والأموية, ولهذا كان الحكام الفاطميون يخشون منذ اللحظات الأولى لحكمهم من ارتداد المصريين عن الولاء لهم والانضمام تحت لواء الدولة العباسية السنية المذهب, هذا الى جانب أن الفاطميين لم يكونوا في مأمن من غيرهم من الشيعة الذين كانوا يطمعون في أن يكون لهم نصيب في الخلافة وعلى رأسهم القرامطة, كما أن مصر في عهد الفاطميين أصبحت دارا للخلافة, وليست مجرد دار امارة, ولكل هذه الأسباب رأى جوهر الصقلي أن يحيط المدينة الجديدة بسور يقيه شر الأعداء ويحفظ للفاطميين هيبتهم ويمكنهم من إداء شعائرهم حسب المذهب الشيعي. مدينة ارستقراطية

وكانت القاهرة في السنوات الأولى من عمرها مدينة ملكية ارستقراطية, مقصورة على سكنى الخلفاء الفاطميين ورجال دولتهم وجندهم وعبيدهم, وكانت الدعوة الفاطمية ذات طابع سري في بدايتها, وأثر هذا على تصميم المدينة الجديدة أيضا.. وكان المصريون محرومين من دخول المدينة إلا بعد الاستئذان! وكان هذا الأمر يسري أيضا على سفراء الدول الأجنبية, فبمجرد وصولهم للمدينة, كان عليهم أن يترجلوا عن جيادهم,

ويسيروا نحو القصر بين صفين من الجنود ,كما أن الصناع والفنانين الذي يعملون داخل حصن القاهرة كانوا مطالبين بمغادرتها في آخر النهار!, ومن هنا يظهر لنا الغرض الحقيقي من بناء القاهرة والذي لخصه المقريزي بقوله):وضعت القاهرة في منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه, ومعقل قتال يتحصن بها ويتجه اليها.. فقد كانت الأسوار والاستحكامات التي بناها جوهر تحيط بقصر الخليفة المعز ودواوين الحكومة ومساكن الجند وبيت المال ودار الأسلحة ومقابر الخلفاء.(

ويصف رحالة ومؤرخ وهو الفيلسوف الفارسي ناصر خسرو الوضع فيقول: (ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة, وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره, وهذا القصر يتكون من اثني عشر بناء, وله عشرة أبواب فوق الأرض, فضلا عن أبواب أخرى تحتها, وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا, وهذا الباب على سرداب يؤدي الى قصر آخر خارج المدينة, و لهذا السرداب الذي يصل بين القصرين سقف محكم, وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة ,تقول انها قدت من صخر واحد

.

وكانت حراسة القصر يقوم بها ألف رجل مسلح ,وتقترن بعروض مهيبة, فبعد الاذان لصلاة العشاء يقوم الإمام بالصلاة, ويتقدم أحد الأمراء الى سلم القصر, وعند ا نتهاء الصلاة يصدر أمره لفرقة من قارعي الطبول ونافخي الأبواق أن يعزفوا, كما تعزف آلات أخرى قطعا موسيقية جميلة لمدة ساعتين, ثم يترك القصر ضابط معين خصيصا لهذا الأمر فيلوح برمحه ويقذف بها أولا الى الأرض عند المدخل, ثم يلتقطها ويغلق الباب ويسير حول القصر سبع مرات, وبعد أن يتم جولاته يقيم العسس الليلي, وكان المرور يمنع حتى الفجر.. وكانت مواكب الخلفاء الفاطميين ومرات ركوبهم في رمضان والعيدين ويوم عاشوراء من المشاهد القاهرية المهيبة.

سبب التسمية

أما باب زويلة, فقد سمي بهذا الاسم نسبة الى قبيلة من البربر بشمال افريقيا, انضم جنودها الى جيش جوهر لفتح مصر.. وباب زويلة هو الباب الثالث الذي لا يزال يقاوم عوامل الزمن والاهمال بعد بابي النصر والفتوح, ويعتبر هذا الباب أجمل الأبواب الثلاثة وأروعها, وله برجان مقوسان عند القاعدة, وهما أشبه ببرجي باب الفتوح, ولكنهما أكثر استدارة, ويشغل باب زويلة مساحة مربعة, طول كل ضلع من أضلاعها 25) مترا)

وممر باب زويلة مسقوف كله بقبة, وقد اختفت منه معظم العناصر الزخرفية ..وعندما بنى الملك المؤيد أبو النصر شيخ مسجده عام 818 هجرية, اختار مهندس الجامع برجي باب زويلة وأقام عليهما مئذنتي الجامع.. ويذكر المؤرخ الشهير (القلقشندي (الكثير عن باب زويلة, ويورد في كتابه (صبح الأعش) أبياتا من الشعر كتبها على بن محمد النيلي تتحدث عن عظمة هذا الباب, ومنها قوله:

يا صاح لو أبصرت باب زويلة   لعلمت قدر محله بنيانا

لو أن فرعونا رآه لم يرد   صرحا ولا أوصى به هامانا

ويطلق العامة على باب زويلة بوابة المتولي.. حيث كان يجلس في مدخله (متولي) تحصيل ضريبة الدخول الى القاهرة !أصل الحكاية

القصر الشرقي الكبير 358 هـ

وضع جوهر الصقلي اساس القصر الذي بناه لمولاه المعز في الفضاء الذي يقع فيه الآن خان الخليلي ومسجد الحسيت تقريباً و أطلق عليه أيضاً "القصر المعزي" و كان الخليفة المعز يسكن فيه و يباشر أعمال الدولة و قيل أنه كان يحتوي علي أربعة آلاف حجرة و كان بقصر المعز أبواب كثيرة منها باب الذهب و باب العيد و باب الديلم و باب الزهومة.

كان تخطيط مدينة القاهرة على شكل مربع تقريبا، يواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية، ويتجه الجانب الشرقي نحو المقطم، والغربي يسير بمحاذاة النيل، والبحري نحو الفضاء الواقع في الشمال، والقبلي يواجه الفسطاط، وطول كل ضلع من أضلاع المدينة ألف ومائتا متر، ومساحة المدينة ثلاثمائة وأربعون فدانًا وكان سورها مبنيًّا من الطوب اللبن، ويتوسط المدينة قصران هما: القصر الكبير الشرقي، والقصر الصغير الغربي، وبينهما ميدان لاستعراض الجند

وفى الجهه الغربية من ميدان باب الشعرية أنشأ جوهر الصقلي مسجدا بالقرب من قصر الحاكم والمدينة متجهة شرقا إلى باب الفتوح فباب النصر، وينتهي عند جبل المقطم

وكان قصد جوهر الصقلي من إنشائه مدينة القاهرة، في بادئ الأمر لتكون سكنا للحاكم وحرمه، وجنده، وخواصه. فنشأت القاهرة مدينة متواضعة للدولة الفاطمية الناشئة

واستمرت حينا بعد قيامها مدينة ملكية عسكرية، تشتمل على قصور الحكام، ومساكن الأمراء، ودواوين الحكومة، وخزائن المال والسلاح وراعى فى تخطيط القاهرة وجود شارع رئيسى يشق محور المدينة (الجنوبى والشمالى) وسماه المؤرخون قصبة القاهرة وأصبح أسمه فى العصر الحديث شارع المعز لدين الله الفاطمى ويتوسط ميدان بين القصرين وينتهى فى جهة الجنوب بباب زويلة , حيث يبدأ الطريق المؤدى إلى الفسطاط ومدن الوجة القبلى وينتهى فى جهة الشمال بباب الفتوح , حيث تبدأ طريق القوافل المتجه إلى مدن شرق الدلتا مثل السويس ودمياط وكان يوازيه شارع آخر سمى الجزء الكبير منه فى العصور المتأخرة بشارع الجمالية

أما الحارات التى كانت تتفرع منها فقد بقى أبواب هذه الحارات مثل باب حارة برجوان , باب قاضى عسكر على رأس حارة بيت القاضى من ناحية شارع المعز لدين الله , باب حارة الصالحية المقابل للصاغة , أبواب حارة المبيض بشارع الجمالية , باب حوش عطى بشارع الجمالية.

منطقة بين القصرين :

كانت القاهرة تسمى المدينة وكانت فى الحقيقة عبارة عن قصرين عظيمين ولواحقهما .. يسكنان بهما 30000 نسمة , وكان المكان بين القصرين خلاء ترك ليكون ميداناً لأستعراض العسكر

ثم شرع الصقلي في نشر المذهب الشيعي في مصر، فألغى الخطبة للخليفة العباسي، وألغى لباس السواد شعار العباسيين، وزاد في الأذان عبارة "حي على خير العمل"، وأمر بالجهر بالبسملة في قراءة القرآن في الصلاة، وزيادة القنوت في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، وأن يقال في خطبة الجمعة: "اللهم صل على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وفاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا"، وكان هذا إيذانا بترك المذهب السني في مصر. وتأكيدا لهذا قام جوهر بإنشاء الجامع الأزهر الذي بدأ العمل فيه في24 من جمادى الأولى359 هـ= 4 من إبريل 970م.

سياسة جوهر الصقلى

التمكينية فى مصر

وسعى جوهر لدعم الفاطميين في مصر وتثبيت نفوذهم، مستعيناً بسياسة هادئة، فعمل على تمكينهم من الجهاز الإداري والسيطرة على الوظائف الكبيرة في الدولة، فلم يدع عملا إلا جعل فيه مغربيا، وفي الوقت نفسه بدأ في اتخاذ عدة إصلاحات لمعالجة الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد، وتخفيف حدة المجاعة التي أصابتها بسبب نقص الحبوب، وأمده المعز لدين الله بالسفن المحملة بالغلال، ووضع نظاما دقيقًا لجمع الضرائب يقوم على العدل والإنصاف، وأثمرت هذه السياسة عن استقرار واضح للفاطميين في البلاد.

التفاريح والتباريح

ارتبط اسم الفاطميين في مصر بالاحتفالات والأعياد، فإليهم ترجع ظاهرة الاحتفال بذكرى المولد النبوي، والإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، من هنا نلاحظ إن الفاطميين جعلوا من هذه المناسبات "فرصة للتفاريح" و"خرجوا بها من المسجد إلى الشارع واصطنعوا لكل مناسبة نوعاً خاصاً من الحلوى...".

لكن ما يلفت النظر هنا إلى أن الفاطميين لم يكونوا أهل فرح ومرح ولهو ، أو دولة "تفاريح" كما يتبادر إلى الذهن، فالمعز لدين الله كان رجل دولة من الطراز الأول، واستطاع تأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف، لكنها "جعلت من التفاريح ستاراً يخفي حقيقة أمرها ، ويغطي مراميها وأهدافها البعيدة". وكان هذا ذكاء من القائد جوهر الصقلى الذى ادعى التسامح فى حرية العقيدة والمذهب

إن الذي أراده الفاطميون من خلال إغراق المصريين بالاحتفالات هو أن ينصرفوا عن البحث في طبيعة النظام الجديد وأهدافه ومراميه، خاصة وأن هذه الدولة كانت ثمرة دعوة سرية يحيط بها الغموض، وكان أول حكامها عبيد الله المهدي شخصية غامضة اضطربت الأقوال في صحة انتسابه إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

كما هدف الفاطميون إلى الظهور بمظهر المتسامح الذي لا يفرق بين مذهب ومذهب، ذلك أنهم كانوا يتبعون المذهب الشيعي الإسماعيلي، وقاموا باحتلال بلد، أهله على مذهب السنة الذي يخالفه الفاطميون ويحاربونه.

وحول فكرة التسامح والحرية الدينية التي ادّعاها الفاطميون، يعيدنا المؤرخ جمال بدوى إلى بدايات الدولة الفاطمية في مصر، حين أعلن قائد حملتهم جوهر الصقلي إلى أهل مصر بأن الحكم الجديد يلتزم بتركهم على مذهبهم، وعدم التدخل في شؤونهم الدينية، وهو ما أطلق عليه المؤرخ جمال بدوى (البيان رقم واحد)، لكنّ النظام الجديد لم يلتزم بعهوده بعد أن ثبتت أركانه، وأخذ يعمل بكل ما أوتي من قوة إلى استمالة المصريين إلى المذهب الرسمي للدولة "وعلى تغيير البنية المذهبية حتى يصبح الشعب المصري على دين ملوكه... شيعياً إسماعيليا باطنياً".

كما تفنن العبيديون بإقامة الحفلات والليالي والأعياد، بحيث غدا عصرهم أشبه بليالي ألف ليلة وليلة، لكن المصريين برغم ذلك كانوا ينظرون إلى هؤلاء نظرة الريب والشك، لاسيما وأنهم زعموا أنهم ينتسبون إلى أهل البيت دون أن يكون لديهم ما يؤكد صحة هذا النسب، كما كانوا يدّعون معرفة الغيب ومكنونات الصدور

كذلك فإن الفاطميين رغم جهودهم الكبيرة والمدروسة في نشر مذهبهم، إلاّ أنها لم تثمر في الشارع المصري، وظل المصريون رغم خدمتهم في مؤسسات الدولة في موقف المستريب من فكرها وعقيدتها ومذهبها.

ثم تطلع جوهر إلى تأمين حدود مصر الشمالية بعد أن اطمأن إلى جبهته الداخلية المتماسكة، فنجح في ضم الشام بعد جهود مضنية، وكانت السيطرة على الشام تمثل هدفًا إستراتيجيا لكل نظام يتولى الحكم في مصر، كما نجح في رد غارات القرامطة الذين حاولوا الاستيلاء على القاهرة، وألحق بهم هزيمة ساحقة سنة (361هـ= 971م) في منطقة عين شمس.

الخليفة الفاطمي في القاهرة

رأى جوهر الصقلي أن الوقت قد حان لحضور الخليفة المعز بنفسه إلى مصر، وأن الظروف مهيأة لاستقباله في القاهرة عاصمته الجديدة فكتب إليه يدعوه إلى الحضور وتسلم زمام الحكم فخرج المعز من المنصورية عاصمته في المغرب وكانت تتصل بالقيروان في 21 من شوال 361 هـ= 5 من أغسطس 972م وحمل معه كل ذخائره وأمواله حتى توابيت آبائه حملها معه وهو في طريقه إليها واستخلف على المغرب أسرة بربرية محلية هي أسرة بني زيري، وكان هذا يعني أن الفاطميين قد عزموا على الاستقرار في القاهرة، وأن فتحهم لها لم يكن لكسب أراضٍ جديدة لدولتهم، وغنما لتكون مستقرا لهم ومركزا يهددون به الخلافة العباسية.

وصل المعز إلى القاهرة في 7 رمضان 362هـ= 11 يونيو 972م، وأقام في القصر الذي بناه جوهر، وفي اليوم الثاني خرج لاستقبال مهنئيه وأصبحت القاهرة منذ ذلك الحين مقرا للخلافة الفاطمية، وانقطعت تبعيتها للخلافة العباسية السنية.

قضى المعز لدين الله القسم الأكبر من خلافته في المغرب، ولم يبق في مصر إلا نحو 3 سنوات، ولكنها كانت ذات تأثير في حياة دولته، فقد نجح في نقل مركز دولته إلى القاهرة، وأقام حكومة قوية أحدثت انقلابا في المظاهر الدينية والثقافية والاجتماعية في مصر، ولا تزال بعض آثاره تطل علينا حتى الآن، وجعل من مصر قلبا للعالم الإسلامي ومركزا لنشر دعوته الإسماعيلية والتطلع إلى التوسع وبسط النفوذ.

وقد قامت القاهرة بعد ذلك بدورها القيادي حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية في الوقوف أمام المد الصليبي وهجمات المغول، وهو ما يثبت أن العالم الإسلامي كان بحاجة إلى مركز متوسط للقيام بمثل هذه الأدوار، وهذا ما تنبه إليه الفاطميون وأثبتته أحداث التاريخ من قديم الزمان؛ حيث كانت الإسكندرية تشغله في العصر الروماني البيزنطي.

ولم تطل الحياة بالمعز في القاهرة ليشهد ثمار ما أنجزته يداه، لكن حسبه أنه نجح في الانتقال بدولته من المغرب التي كانت تنهكها ثورات البربر المتتالية، ولم تدع له فرصة لالتقاط أنفاسها حتى تكون مستقرا جديدا للتوسع والاستمرار، وأنه أول خليفة فاطمي يحكم دولته من القاهرة، عاصمته الجديدة.

أرسل المعز جيشه بقيادة جوهر الصقلي في حروب ضد قبائل المغرب وأمويي الأندلس. كما أكدت غاراته على إيطاليا سيادة الفاطميين على البحر المتوسط على حساب البيزنطيين. وتوفي الخليفة المعز لدين الله في القاهرة في 16 ربيع الثاني 365 هـ/23 ديسمبر 975م.

المعز لدين الله مخترع قلم الحبر

كان للمعز لدين الله إلى جانب اهتمامه بالعقيدة والفلسفة والأدب اهتمامات علمية جعلت مجلسه يعجّ بالعلماء والأطباء والفنانين، إلا أن أطرف ما يذكره المقريزي في هذا المجال هو اختراعه لقلم الحبر الذي ما أن يخطّ به الكاتب على وجه الصفحة حتى يسيل، ويتوقف ما أن يرفع يده عنها.

وعقب وصول الخليفة الفاطمي عزل جوهر الصقلي عن دواوين مصر، واختفى جوهر عن الحياة، فلم يعهد إليه الخليفة بمهام جديدة، حتى إذا ظهر خطر القرامطة في بلاد الشام وباتوا خطرا محدقًا بالدولة استعان المعز لدين الله بقائده النابه جوهر في سنة (364هـ= 974م) لدفع هذا الخطر، ثم عاد إلى الاختفاء ثانية.

المعز لدين اللّه وجوهر والقرامطة

بالرغم من أن الإسماعيلية والقرامطة يصدران عن مذهب واحد، أو عن فرقتين تؤولان إلى نفس المذهب، هو التشيع؛ إلا أن اختلاف الاستراتيجيات السياسية جعلت منهما خصمين لدودين، وقد تميز عهد المعز بتأليب المسلمين على القرامطة الذين تركت أعمالهم أثراً سيئاً في نفوس المسلمين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم، وعلى الأخص انتزاعهم للحجر الأسود من الكعبة واحتفاظهم به لعدة سنوات.

القرامطة من الناحية التاريخية

عاشت في شرق شبه الجزيرة العربية (حالياً: الإمارات العربية المتحدة وقطر والكويت والبحرين، وشرق المملكة العربية السعودية). أشهر ما عرف عنهم قيامهم بثورة ضد الخلافة العباسية في السنوات القلة الأخيرة من القرن التاسع الميلادي، الأمر الذي أدى إلى الكثير من الاضطرابات، منها سرقة الحجر الأسود من مكة المكرمة.

مؤسس مذهب القرامطة هو حمدان بن الأشعث الذي يلقب "بقرمط". قدم من الأهواز إلى الكوفة سنة (278 هـ/891م)وأقام بها. دخل في بداية حياته في مذهب الإسماعيلية على يد حسين الأحوازي. وقد عرف حمدان بقوة شخصيته وعلاقاته الاجتماعية. انقلب على الإسماعيلية الباطنية وقام بإنشاء مذهباً خاصاً به، مركزه في الكوفة في عام 890 م وأطلق عليه اسم "دار الهجرة". داعياً إلى إمام من آل البيت، فلقيت دعوته نجاحا عند أنصار العلويين. وبعد أن وثق من بعضهم بدأ في بث دعوته وأفكاره التي كانت تختلف عن الإسلام السائد في ذلك الزمن.

انتشرت الفرقة القرمطية في الكوفة وواسط والبصرة في العراق، ومن ثم في البحرين والقطيف. ثم اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها في البحرين "أبي سعيد الجنّابي" سنة (286 هـ = 899م)، واستطاع أن يبسط نفوذه على البحرين وهجر، وكسب أنصارا كثيرين، وتحول إقليم البحرين إلى مركز للقرامطة ومعقلاً لنشاطهم، وخرجت منه حملاتهم الحربية لنشر أفكارهم.

وانتشروا في الأحساء والطائف حتى اليمن. ثم ساروا إلى بعلبك وسلمية. استولوا على دمشق في عام 873 م، ثم توجهوا إلى مصر ثم المغرب وعمان.

ولم ينجح المعتضد في القضاء على هذه الحركة؛ لأنه لم يقدر خطورتها حق قدرها، وصرف جهده إلى قمع ثورات كانت تبدو لديه أكثر خطورة منها.

وقد حارب المعز القرامطة وجرد لهم الجيوش إلى أن استطاع إبعادهم إلى شرق الجزيرة العربية بعيداً عن مكة وجوارها، ويذكر التاريخ أن عدة مراسلات نشأت بين الطرفين، ولكن أشهرها هي رسالة المعز التي نورد مقتطفاً منها أدناه:

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد: بسم الله الرحمن الرحيم رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأنبياء ومسالك الرسل والأوصياء السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا أولى الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار وسالف الأزمان والأعصار عند قيامهم بأحكام الله وانتصابهم لأمر الله الابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار قبل إنفاذ الأقدار في أهل الشقاق والأصار لتكون الحجة على من خالف وعصى والعقوبة على من باين وغوى حسب ما قال الله جل وعز: "وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً". (...)

استشعروا النظر قد نقر في الناقور وفار التنور وأتى النذير بين يدي عذاب شديد فمن شاء فلينظر ومن شاء فليتدبر وما على الرسول إلا البلاغ المبين. وكتابنا هذا من فسطاط مصر وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور فلا نرفع قدماً ولا نضع قدماً إلا بعلم موضوع وحكم مجموع وأجل معلوم وأمر قد سبق وقضاء قد تحقق. (...)

فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم أو كمراح غنم فإما نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون وأنت في القفص مصفودا ونتوفنيك فإلينا مرجعهم فعندها تخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين "فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الذي كَذَّبَ وَتَوَلَّى"، "كأَنهم يوم يرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لم يَلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغٌ فهل يُهلَكُ إلا القوم الفاسقون". فليتدبر من كان ذا تدبر وليتفكر من كان ذا تفكر وليحذر يوم القيامة من الحسرة والندامة "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَي عَلَى ما فَرَّطتَ في جَنبِ الله" ويا حسرتنا على ما فرطنا ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم وكنتم قوماً بوراً.

والسلام على من اتبع الهدى وسلم من عواقب الردى وانتمى إلى الملأ الأعلى وحسبنا الله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا النبي الأمى والطيبين من عترته وسلم تسليماً.

سيطرة القرامطة على الشام والهجوم على مصر:

تطلع جوهر إلى تأمين حدود مصر الشمالية بعد أن اطمأن إلى جبهته الداخلية فنجح في ضم الشام بعد جهود مضنية، وكان الجمع بين الشام ومصر هدفا لكل حكم في المنطقة، كما نجح جوهر الصقلي في رد غارات القرامطة الذين حاولوا الاستيلاء على القاهرة، وألحق بهم هزيمة ساحقة في منطقة عين شمس عام 971 الموافق 361 للهجرة.

حيث اشتد الفزع فى مصر بعد أن وصل القرامطة إلى الشام واستولو على دمشق تحت قيادة رئيسهم الحسن بن محمد الأعسم سنة 360 هـ ولذلك أخذ جوهر القائد فى إعداد وتجهيز الجيش لمواجهة ذ لك الخطر الجم ، فحفر خندقاً وبنى القنطرة على الخليج واستنفر همم المصريين ، وأرسل إلى الحجاز ليتعرف أخبار القرامطة.

وفى عام 361هـ وصلت القرامطة إلى عين شمس فاستعد جوهر القائد لقتالهم والتحم المصريين والقرامطة على باب القاهرة يوم الجمعة وانتهت المعركة يوم الأحد بهزيمة القرامطة وولى الأعسم منهزماً ولم يتبعه جوهر القائد .

وامر جوهر بالنداء فى المدينة من جاء بالقرمطى او برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرجاً محلى على دوابها وثلاث جوائز .

وبهذه الكسرة للقرامطة تفرق عنهم من كان يناصرهم من الكافوريين والإخشيدين وخرج المغاربة يستغيثون بالمعز سنة 663هـ، فامرهم أن يسكنوا عين شمس وشاهد المعز بنفسه الأماكن التى ينزلون فيها وأعطى لهم المال يبنون بها منازلهم على الرغم من ان جوهر كان يرفض سكنهم المدينة ولا المبيت فيها والموضع الذى نزلوا فيه يعرف اليوم بالخندق أو الحفرة وجعل لهم والياً واختلطوا باهل مصر . وهذا ما ذكره نص المقريزى وابن زولاق

فى المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار الجزء الثالث (122 من 167) : " وقال ابن زولاق في كتاب إتمام كتاب الكندي في أخبار أمراء مصر: وفي شوال يعني من سنة ستين وثلاثمائة كثر الأرجاف بوصول القرامطة إلى الشام ورئيسهم الحسن بن محمد الأعسم وفي هذا الوقت ورد الخبر بقتل جعفر بن فلاح قتله القرامطة بدمشق ولما قُتل ملكت القرامطة دمشق وصاروا إلى الرملة فانحاز معاذ بن حيان إلى يافا متحصناً بها وفي هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة وحفر خندقًا وعمل عليه بابا ونصب عليه بابي الحديد اللذين كانا على ميدان الإخشيد وبنى القنطرة على الخليج وحفر خندق السري بن الحكم وفرّق السلاح على رجال المغاربة والمصريين ووكل بأبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان وأنفذ إلى ناحية الحجاز

فتعرف خبر القرامطة وفي ذي الحجة كبس القرامط القلزم وأخذوا واليها ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائةن وفي المحرم بلغت الرامطة عين شمس فاستعدّ جوهر للقتال لشعر بقين من صفر غلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج وأمر الناس بالخروج إليه وأن يخرج الأشراف كلهم فخرج إليه أبو جعفر مسلم وغير المضارب وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة وكان يوم جمعة فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين ثم غدوا يوم الأحد للقتال وسار الحسن الأعسم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالًا شديداً وقتل خلق كثير ثم ولى الأعسم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الأعسم بالجب ووجدت صناديقه وكتبه وانصرف في الليل على طريق القلزم ونهب بنو عقيل وبنو طي كثيرا من سواده".

الأيام الأخيرة ووفاته

وظل جوهر الصقلي بعيداً عن تولي المناصب حتى وفاة المعز لدين الله وتولي ابنه العزيز بالله الفاطمي، إلى أن عاد الخطر القرمطي في الظهور من جديد في الشام، ولم يجد الخليفة العزيز بداً من الاستعانة به مرة أخرى؛ اعترافًا بكفاءته وقدرته، فتولى قيادة القوات الفاطمية التي زحفت إلى بلاد الشام، حتى إذا تحقق النصر وزال خطر القرامطة عاد من جديد إلى الاختفاء، ولزم بيته حتى توفي في (20 من ذي القعدة 381هـ= 28 من يناير 992م) بعد أن حكم مصر أربع سنوات نيابة عن الخليفة الفاطمي في مصر، وهي تعد من أهم فترات التاريخ الفاطمي في مصر؛ حيث نجح بسياسته الهادئة وحسن إدارته من إحداث التغييرات المذهبية والإدارية التي هيأت الاستقرار للدولة الجديدة، وعبرت عن مظاهر سيادتها.

الجامع الأزهر فى التاريخ

وصف الجامع :

الجامع فى شكله الحاضر بناء فسيح يقوم على أرض مساحتها 12000 متر مربع يحيط به سور مربع الشكل تقريبا و به ثمانية أبواب .

والأزهر له خمس مآذن مختلفة الطراز لأنها بنيت فى عصور متفاوتة وكان للأزهر عشرة محاريب أزيل أربعة و بقى الآن ستة تتفاوت فى الجمال و الأتقان .

للأزهر ثلاث قباب أجملها و أكبرها تلك التى تقوم فوق المدرسة الجوهرية و يزين الجامع الأزهر 380 عمودا من الرخام الجميل .

يعد جامع الأزهر أول عمل معماري أقامه الفاطميون في مصر، وأول مسجد أنشئ في مدينة القاهرة التي أسسها جوهر الصقلي لتكون عاصمة للدولة الفاطمية، وقد بدأ جوهر في إنشائه في (24 من جمادى الأولى 359 هـ = 4 من إبريل 970م)، ولما تم بناؤه افتتح للصلاة في (7 من رمضان 361 هـ = 22 من يونيو 971م).

أصبحت قاهرة المعز لدين الله عاصمة الثقافة فى العالم الإسلامى بفضل الأزهر الشريف فقد كان جامع وجامعة على مر العصور وكان الحارس الأول لثقافة الإسلام وتقاليده .

ولم يكن يعرف منذ إنشائه بالجامع الأزهر، وإنما أطلق عليه اسم " جامع القاهرة " ، وظلت هذه التسمية غالبة عاليه معظم سنوات الحكم الفاطمي، ثم توارى هذا الاسم واستأثر اسم الأزهر بالمسجد فأصبح يعرف بالجامع الأزهر، وظلت هذه التسمية إلى وقتنا الحاضر، وغدا من أشهر المؤسسات الإسلامية على وجه الأرض.

ويردد المؤرخون أسبابا مختلفة لإطلاق اسم الأزهر على جامع الفاطميين الأول في مصر، ولعل أقواها وأقربها إلى الصواب أن لفظة الأزهر مشتقة من الزهراء لقب السيدة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، التي كانت الدولة الفاطمية تنتسب إليها، ومن ثم أطلق على جامع القاهرة اسم الأزهر؛ تيمنًا باسم السيدة فاطمة الزهراء.

بناء جامع الأزهر :

استغرق بناء الجامع عامين. وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في 7 رمضان 361 هـ/972م. وقد سمي بالجامع الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء التي ينتسب إليها الفاطميون. وفي سنة 378هـ/988م جعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الباطنية الإسماعيلية للدارسين من أفريقيا وآسيا. وكانت الدراسة بالمجان. وأوقف الفاطميون عليه الأحباس للإنفاق منها على فرشه وإنارته وتنظيفه وإمداده بالماء، و رواتب الخطباء والمشرفين والأئمة والمدرسين والطلاب.

وكان تصميم الأزهر وقت إنشائه يتألف من صحن تحفّه ثلاثة أروقة، أكبرها رواق القبلة، وعلى الجانبين الرواقان الآخران، وكانت مساحته وقت إنشائه تقترب من نصف مسطحه الحالي، ثم ما لبث أن أضيفت مجموعة من الأبنية شملت أروقة جديدة، ومدارس ومحاريب ومآذن، غيرت من معالمه الأولى، وأصبح معرضًا لفن العمارة الإسلامية منذ بداية العصر الفاطمي.

ولعل أول عمارة أدخلت على الأزهر هي التي قام بها الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، حيث زاد في مساحة الأروقة؛ وأقام قبة حافلة بالنقوش الجصية البارزة لا تزال قائمة حتى اليوم.

وفي حوالي 400 هجرية/1009 ميلادية جدد الحاكم بأمر الله الأزهر، وأوقف عليه الأوقاف، ثم تبعه من بعده أهل الخيرات فأصبح يعتمد على أوقاف عظيمة، وفي عام 427 هجرية/1035 ميلادية جدد الجامع الأزهر في خلافة المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، ثم اقتفى أثره حفيده الآمر بأحكام الله الذي تولى الخلافة سنة 495 هجرية/1101 ميلادية فأحدث في الأزهر تجديدا شاملاً، ولما انقضت الدولة الفاطمية كانت مساحة الأزهر 13000 ذراع، أي أقل من نصف المساحة الحالية، وقد أصبحت اليوم 26333 ذراعا أي حوالي 12000 متر مربع.

الأزهر فى العهد الأيوبى :

وبعدما تولي صلاح الدين سلطنة مصر منع إقامة صلاة الجمعة به وذلك لأن صلاح الدين الأيوبى أتى بالمذهب السنى إلى مصر وكان الفاطميين على المذهب الشيعى ولإختلاف الآذان من الذهب السنى إلى المذهب الشيعى وأختلاف طريقة الصلاة أمر بوقف إقامة الصلاة يوم الجمعة بهإلى أن جعله جامعا سنيا.

وأوقفت عليه الأوقاف وفتح لكل الدارسين من شتي أقطار العالم الإسلامي. وكان ينفق عليهم ويقدم لهم السكن والجراية من ريع أوقافه، وكانت الدراسة والإقامة به بالمجان .

غير أن الأزهر شهد انتكاسة في العصر الأيوبي، وفقد بريقه الذي لازمه في عهد الفاطميين، وكان الأيوبيون يعملون على إلغاء المذهب الشيعي، وتقوية المذهب السني بإنشاء مدارس لتدريس الحديث والفقه، فاجتذبت الشيوخ والأساتذة وطلاب العلم، في الوقت الذي قل الإقبال فيه على الأزهر، وأصيبت الحركة العلمية فيه بالشلل، فانزوى بعد أن أهمله الأيوبيون القائمون على الحكم، غير أن هذا العلة التي أصابته لم تدم كثيرا، فاسترد الأزهر عافيته في العصر المملوكي، واستعاد مكانته السامقة باعتباره معهدا علميا راقيا، وأصبحت تدرس فيه المذاهب السنية، وانقطعت صلته بما كان يدرس فيه من قبل.

الأزهر في العصر المملوكي :

اعتنى السلاطين بالأزهر بعد الإهمال الذي لحقه في العصر الأيوبي، وحين تولى السلطان الظاهر بيبرس حكم مصر؛ عادت صلاة الجمعة للأزهر، وجمع الأمير عز الدين أيدمر –وهو من أمراء دولة بيبرس– الحلي وبعض ما تبدد من أوقاف الأزهر، وانتزعه من أيدي غاصبيه، ثم جدد سقوف الجامع وتبليطه، وكان للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار الظاهري يد محمودة في هذا التجديد، فأنشأ رواقًا كبيرا أوقف عليه المزارع والعقارات، واشترط أن ينفق ريعها على من ينقطع في هذا الرواق لقراءة القرآن الكريم وإسماع كتب السنة المحمدية، وتدريس فقه الإمام الشافعي، وكان هذا الرواق هو أول أروقة التدريس بالأزهر، وبداية تحوله إلى جامعة مرموقة دوليًّا.

وكان الأمير "عز الدين أيدمر" أول من اهتم بالأزهر، فقام بتجديد الأجزاء التي تصدعت منه، ورد ما اغتصبه الأهالي من ساحته، وجمع التبرعات التي تعينه على تجديده، فعاد للأزهر رونقه وبهاؤه ودبت فيه الحياة بعد انقطاع، واحتفل الناس بإقامة صلاة الجمعة فيه في يوم (18 من ربيع الأول سنة 665 هـ = 19 من نوفمبر 1266م).

ثم قام الأمير "علاء الدين طيبرس" نقيب الجيوش في عهد الناصر محمد قلاوون بإنشاء المدرسة الطيبرسية سنة (709 هـ = 1309 م)، وألحقها بالجامع الأزهر، وقرر بها دروسا للعلم، وقد عني هـ ذا الأمير بمدرسته فجاءت غاية في الروعة والإبداع المعماري. وتأنق في رخامها وتذهيب سقفها، وفرشها ببسط منقوشة بشكل المحاريب، وجعل في المدرسة خزانة كتب.

ولم تكد تمضي ثلاثون سنة على هذه العمارة حتى أنشأ الأمير علاء الدين آقبغا سنة (740 هـ = 1340م) – وهو من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون – المدرسة الأقبغاوية، وهي على يسار الداخل من باب المزينين، وأنفق عليها أموالا طائلة حتى جاءت آية في الجمال والإبداع، وبخاصة محرابها البديع، وجعل لها منارة رشيقة. وجعل لها مئذنة هي إحدى مآذن الأزهر الخمس حاليا.

ثم أنشأ الأمير جوهر القنقبائي خازندار السلطان الأشرف برسباي مدرسة ثالثة عرفت باسم المدرسة الجوهرية، وتقع في الطرف الشرقي من المسجد، وتشتمل على أربعة إيوانات على الرغم من صغر مساحتها، أكبرها الإيوان الشرقي، وبه محراب دقيق الصنع، وتعلو المدرسة قبة جميلة.

ولم تتوقف العمارة في الجامع الأزهر في عهد المماليك الجراكسة، فى عهد السلطان قايتباي المحمودي سنة (873 هـ = 1468م) و هو قايتباي المحمودي الأشرفي، ثم الظاهري، أبو النصر، سيف الدين، سلطان الديار المصرية، من المماليك البرجية، أي (ملوك الجراكسة)

.

ولد السلطان قايتباى المحمودى سنة 815 هـ . 1412 م، وكان من المماليك، واشتراه الأشرف برسباي بمصر صغيرا من الخوجه محمود سنة 838هـ، وصار إلى الظاهر جقمق بالشراء، فأعتقه واستخدمه في جيشه، فانتهى أمره إلى أن أصبح في سنة 872هـ أتابك العسكر للظاهر تمربغا الذي خلعه المماليك في السنة نفسها، وبايعوا "قايتباي" بالسلطنة، فتلقب بالملك الأشرف. وكانت مدته حافلة بالحروب، وسيرتُه من أطول السِّيَر. تعرضت البلاد في أيامه لأخطار خارجية، أشدها ابتداء العثمانيين . أصحاب القسطنطينية . محاولة احتلال حلب وما حولها، فأنفق أموالاً عظيمة على الجيوش كانت من العجائب التي لم يُسمع بمثلها في الإنفاق، وشُغِل بالعثمانيين، حتى إن صاحب الأندلس استغاث به لإعانته على دفع الفرنج عن غرناطة، فاكتفى بالالتجاء إلى تهديدهم بواسطة القسيسين الذين في القدس، سلما دون قتال، فضاعت غرناطة وذهبت الأندلس.

كان الأشرف قايتباي متقشفًا مع عظم إنفاقه على الجيوش . كثير المطالعة، له اشتغال بالعلم، وفيه نزعة صوفية، كما كان شجاعا عارفًا بأنواع الفروسية، مهيبا عاقلاً حكيما، إذا غضب لم يلبث أن تزول حِدّته. ترك كثيراً من آثار العمران في مصر وأبرزها قلعة قايتباي بالاسكندرية والحجاز والشام والقدس ، ولا يزال بعضها قائما إلى الآن. توفي بالقاهرة سنة 901 هـ . 1496 م.

وقد قام السلطان قايتباى بهدم الباب الواقع في الجهة الشمالية الغربية للجامع الأزهر ، وشيده من جديد على ما هو عليه الآن، وأقام على يمينه مئذنة رشيقة من أجمل مآذن القاهرة، ثم قام السلطان قانصوه الغوري ببناء المئذنة ذات الرأسين، وهي أعلى مآذن الأزهر، وهي طراز فريد من المآذن يندر وجوده في العالم الإسلامي.

فى العصر العثمانى :

عندما انتهت دولة المماليك بدخول السلطان العثماني سليم الأول مصر؛ اهتم العثمانيون بالأزهر، وكان أبرز ما جرى في الأزهر في ذلك العصر حدثين مهمين:

الأول: في سنة 1161 هجرية/1748 ميلادية، حيث تم تثبيت عدة مزاول لمعرفة المواقيت ووضع إحداها في ركن صحن الأزهر على يسار الداخل.

الثانى : أن أكبر عمارة أجريت للجامع الأزهر هي ما قام بها "عبد الرحمن بن كتخدا" سنة (1167 هـ = 1753 م) وكان مولعا بالبناء والتشييد، فأضاف إلى رواق القبلة مقصورة جديدة للصلاة يفصل بينها وبين المقصورة الأصلية دعائم من الحجر، وترتفع عنها ثلاث درجات، وبها ثلاثة محـ اريب، وأنشأ من الناحية الشمالية الغربية المطلة حاليا على ميدان الأزهر بابا كبيراَ، يتكون من بابين متجاورين، عُرف باسم باب المزينين، كما استحدث باباً جديداً يسمى باب الصعايدة وأنشأ بجواره مئذنـة لا تزال قائمة حتى الآن، ويؤدي هذا الباب إلى رواق الصعايدة أشهر أروقة الأزهر. وقد ظل الأزهر عامرا بالدروس والعلم فكانت أروقته تضم طلابا من شتى أرجاء المعمورة، ومن هذه الأروقة: رواق السودانية، ورواق المغاربة، ورواق الجبرت وكان خاصاً بالطلاب القادمين من الحبشة وإرتيريا والصومال، ورواق البرنو وكان يضم الطلاب القادمين من السنغال ونيجيريا وغينيا وغانا، ورواق تشاد، ورواق النوبة، ورواق اليمن، ورواق الشام، ورواق إندونيسيا، ورواق الهند، ورواق الحرمين، ورواق الأفغان.

وفي عهد أسرة محمد علي عني الخديوي عباس حلمي الثاني بالأزهر، فجدد المدرسة الطيبرسية، وأنشأ لها بابا من الخارج، وأضاف إلى أروقة الأزهر رواقًا جديدَا هو الرواق العباسي نسبة إليه، وهو أحدث الأروقة وأكبرها، وافتتح في (شوال 1315 هـ = يناير 1897م).

علماء وساسة وأدباء خرجوا من الأزهر

على مر العصور

نجد أن الجامع الأزهر مر بتطورات تاريخية عديدة ما بين القوة والضعف من المدارس المتخصصة في العصر الأيوبي الذي شجع المذهب الشافعي في مصر وشاعت المدارس المتخصصة بتدريس المذاهب وعلوم القرآن، التي شملتها الرعاية الرسمية، وأُسبغت عليها الأوقاف الجزيلة، بحيث اجتذبت كبار المدرسين والعلماء، وجعلت تنافس الأزهر أيما منافسة. على أن الأز هر ظل محتفظاً بخميرته العلمية وهيبته التليدة، وقد توالى على عقد الحلقات الدراسية فيه جمهرة غفيرة من علماء القرون السابع حتى التاسع الهجرية (الثالث عشر حتى الخامس عشر الميلادية)، نذكر على سبيل المثال: ابن الفارض والسهروردي من المتصوفة، وابن خلدون وابن خَلّكان والمقريزي من المؤرخين وابن حجر العسقلاني.

ويبدو أن تدريس ابن خلدون بالأزهر، في العقد الأخير من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، كان طيب الأثر شائع الصيت في زمانه. وقد تتلمذ على يديه أناس غدوا من الكبار في مصر. وقد اندرست معاهد بغداد بفعل الزحف المغولي المدمر،

وقُرطُبة بسقوط الأندلس، والمغرب لانحلاله السياسي، فغدا الأزهر منارة الدراسات الإسلامية من دينية ولغوية، وكان كعبة الطلاب من البلدان الإسلامية. ولهذا نجد الأزهر يتزعم الفكر والثقافة، ويغدو صاحب نفوذ على سياسة الدولة العليا.

وقد عرف الأزهر، في عهد السلاطين الأيوبيين والمماليك، عصره الذهبي، خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، فقد انهالت عليه الهبات والأحباس، وقام السلطان الأشرف قايتباي بتجديد بنيانه والإضافة إليه، وكان الكثير من علماء العصر الذين أنتجوا الأعمال الموسوعية الكبرى هم من تلامذة الأزهر وأساتذته.

وكان لماضي الأزهر المشرق الذي تقادم عليه الزمن والذي ترك له حرمته في نفوس المسلمين كافة، كان لهذا الماضي اليد الطولى في حمايته من عبث الاحتلال العثماني وتطاوله على مظاهر التراث يستولي عليها ويبعث بها غنيمة إلى الآستانة. وازداد دور الأزهر في حماية اللغة العربية في وجه التركية، لغة الفاتحين. ومن الذين وفدوا على الأزهر خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) للتدريس وأقاموا به سنين مديدة المقّري حيث كتب، خلال إقامته في رواق المغاربة، مؤلفه الشهير "نفح الطيب".

كما وفد على الأزهر إبان القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) العلامة الزّبيدي حيث تتلمذ له الكثيرون، ومنهم الجَبَرتي المؤرخ، وهناك في القاهرة وضع الزّبيدي قاموسه الشهير "تاج العروس من جواهر القاموس". على أن شأن الأزهر ضؤل كثيراً خلال العصر التركي المظلم لنضوب موارده، وقد ارفضّ الطلاب عنه بعد أن كانوا يَعدّون بالآلاف. وجاء نابوليون بونابرت إلى مصر في أواخر القرن الثامن عشر، وارتفع الأزهر في هذه المرحلة من حياة مصر، إلى مرتبة الزعامة السياسية. فهو الذي فاوض المحتلين الجدد عقب اندحار المماليك وإدبارهم، وبيد مشايخه وعلمائه كان زمام الدواوين الثلاثة التي نشأت خلال الحملة الفرنسية التي لم تعمر أيامها طويلاً (1798 . 1801م).

ومن صحن الجامع الأزهر تعالت صيحة الثورة الشعبية على المحتل ومغارمه، وتنكيله، ومن أفواه بعض المعممين انطلق الهدير عبر الخطب النارية. فانصبت المدافع ناراً حامية على الأزهر والأحياء المحيطة به، واقتحمه الفرنسيون بخيولهم، بعد أن هدموا متاريس المقاومة. أما قادة الثورة من مشايخ الأزهر فقد أُعدموا بالقلعة واحتُزّت رؤوسهم.

وعندما ضيقت سلطات الاحتلال الخناق على الأزهر، إثر مقتل الجنرال كليبر على يد السوري سليمان الحلبي، أحد الطلاب المنتمين إلى رواق الشام في هذا الصرح التاريخي، عمد القائمون عليه من المشايخ والعلماء إلى إغلاقه وتسميره، وذلك لأول مرة منذ ثمانية قرون ونصف خلت، لأنهم وجدوا أن الدراسة فيه غدت متعذرة، فامتد إغلاقه زهاء عام إلى أن زالت غمة الاحتلال.

دور "محمد علي الأزهري" :

وعندما أمسك محمد علي بزمام الأمور في مصر لم يكن الأزهر مشايعاً، برغم أن علماء الأزهر لعبوا، غير مرة، دوراً في تولية محمد علي وتوطيد ولايته. فهذا الحاكم الجديد الطموح كانت أنظاره تتجه شطر أوروبا ونُظمها المتقدمة، في حين أن الأساليب الأزهرية في التعاطي مع العلم والثقافة لم تكن مجدية ومستقبلية. فآثر إهماله وعدم مبادرته بالتحديث والعصرنة، وقد وجده حصناً للمحافظة والجمود.

وعلى الرغم من ذلك شارك الأزهر منذ العام 1826 في بعثات محمد علي العلمية إلى أوروبا، فأرسل مشايخه في تلك البعثات، ومنهم رفاعة الطهطاوي وأحمد حسن الرشيدي وإبراهيم البزاوي وغيرهم. وفي أوائل عهد الخديوي عباس قاد الشيخ محمد عبده حركة إصلاحية كان من بين نتائجها صدور أمر خديوي بتشكيل لجنة إدارة دائمة للعناية بالأزهر وشؤونه ووضع القواعد والنظم والمرتبات، كما أضيفت مواد جديدة للدراسة من أهمها الأخلاق ومصطلح الحديث والجبر والحساب ومبادىء الهندسة.

وفي صيف 1882 أصدر كل من الشيخ محمد عليش والشيخ حسن العدوي والشيخ محمد أبو العلا فتوى شرعية بمروق الخديوي توفيق ووجوب الدفاع عن البلاد ورفض أمر الخديوي بعزل أحمد عرابي، ولذلك نال علماء الأزهر نصيباً موفوراً من السجن والنفي بعد هزيمة الثورة، فتم نفي الشيخ محمد عبده، والشيخ حسن العدوي والشيخ محمد القياتي.

وعندما اشتعلت ثورة 1919 التي قادها سعد زغلول الأزهري النشأة، شارك طلاب الأزهر في أحداث الثورة، شأنهم شأن غيرهم، بل واجتمع القساوسة والمشايخ داخل الأزهر وتناوبوا الخطابة والتحريض على الثورة ضد الاحتلال. وفي العام 1965 اختار جمال عبد الناصر الجامع الأزهر ليعلن من فوق منبره صيحته المدوية ضد العدوان الثلاثي.

ويقول نجيب محفوظ، إن وظيفة الأزهر هي نشر الإسلام وحمايته. وكجهة مهمتها الدفاع عن الدين، وعلى الأدباء تجنب استفزازه. ومن الممكن ممارسة حرية الإبداع دون المس بالدين.

لا ننس أيضاً أن الموسيقى خرجت من الأزهر على أيدي الشيخ سلامة حجازي والشيخ زكريا أحمد والشيخ سيد درويش والشيخ زكريا صبح. والأزهر قاد الحركة الوطنية، وكان رمزاً لوحدتها.

ومن فوق منبره خطب القس سرجيوس في ثورة 1919، منطلقاً من كنيسته بالفجالة حتى دخل الأزهر وسط الجموع وبدأ خطبته "بسم الله الرحمن الرحيم" .

وفي القرن العشرين عاش الأزهر مناخين: المناخ الليبيرالي ما قبل ثورة تموز، 1952 الناصرية، حين كانت أجواء الحرية والتسامح مسيطرة من منطلقات ثورة 1919 التي دعت إلى الحرية الداخلية والتحرر الخارجي. في خلال هذه الفترة وقعت حادثتا اصطدام بين رجال الفكر والأزهر. الأولى، الخلاف على كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي". والثانية، الخلاف على كتاب علي عبد الرازق "الإسلام وأصول الحكم ". وكلا الكاتبين شيخ من شيوخ الأزهر.

وللأزهر فضل كبير في الحفاظ علي التراث العربي بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد وعلى اللغة العربية من التتريك واللغة التركية أيام الإحتلال العثماني لمصر سنة 1517م وأيام محمد علي باشا سنة 1805.

تطور الدور السياسى

للأزهر الشريف

ولقد اضطلع الأزهر الشريف -منذ فجر تاريخه- بأدوار سياسية وثقافية وروحية خالدة، ليس في تاريخ مصر فحسب، بل في تاريخ الأمم الإسلامية والعربية على مر العصور .

فقد كان للأزهر دور سياسي مجيد على مر تاريخه دفع فيه الظلم والجور وأقر العدل ونشر الأمان، فكان ملاذاً لعامة الشعب يهرعون إليه في الأزمات. ملتمسين من علمائه الإرشاد والتوجيه فيجدون لديهم مواطن الأمان وتفريج الكربات وحل الأزمات، وكان العامة إذا وقع عليهم ظلم أو اغتصب الأمراء المستبدون حقوقهم، هرعوا جماعات إلى الجامع الأزهر في هتاف وصياح، فيفض العلماء حلقات الدراسة ويغلقون أبواب الأزهر ويستمعون إلى شكاية المستغيثين، ونضرب لهذا مثلا ماذكره الجبرتي المؤرخ المشهور أن حسين بك المعروف بـ "شفت" أحد أمراء المماليك، وكان طاغية جباراً يصادر أموال الرعية ويتهجم على البيوت ، وأنه ذهب إلى بيت أحمد سالم الجزار، شيخ دراويش البيومي، فنهب مافيه حتى الفرش وحلي النساء.

فحضر أهل الحسينية إلى الجامع الأزهر، ومعهم الطبول والتف حولهم العامة وبأيديهم العصي ، وتفرقوا في أنحاء الأزهر وأغلقوا أبوابه وصعد بعضهم إلى مآذنه يصيحون ويضربون الطبول.. .. وقابلوا الشيخ الدردير وذكروا له ما حدث، فغضب لحرمات الله وقال لهم :"في غد نجمع الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوت المماليك كما ينهبون بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم، فارتاع المماليك وأوفدوا رسلهم إل الشيخ الدردير نادمين طالبين إليه أن يرسل قائمة بما نهبه حسين بك وجنوده ليردوه إليه، وفعلا ردوا إليه جميع ما أغتصبوه .

وكثيرا ما كانوا يلفتون نظر الحكام إلى أن طاعة الحاكم واجبة إذا لم يخالف الشرع، وأن قاعدة الحكومة الإسلامية أنه "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وفي أحد المواقف صب الشيخ "علي الصعيدي" غضبه على الأمير يوسف بك الكبير –في وجهه– ، ولعن من باعه، ومن اشتراه، ومن جعله أميراً، فاسترضاه الأمير ونزل على مشورته وأخذ بآرائه .

وكان للأزهر مواقفه المشهودة في التصدي لظلم الحكام والسلاطين المماليك لأن علماءه كانوا أهل الحل والعقد أيام المماليك. ففي سنة 1209هـ/1795م، يروي الجبرتي في يومياته بأن أمراء مماليك إعتدوا على بعض فلاحي مدينة بلبيس فحضر وفد منهم إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي وكان شيخا للأزهر وقتها.

وقدموا شكواهم له ليرفع عنهم الظلم. فغضب وتوجه إلى الأزهر, وجمع المشايخ. وأغلقوا أبواب الجامع. وأمروا الناس بترك الأسواق والمتاجر. واحتشدت الجموع الغاضبة من الشعب. فأرسل إبراهيم بك شيخ البلد لهم أيوب بك الدفتردار، فسألهم عن أمرهم.

فقالوا: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات (الضرائب)، وخشي زعيم الأمراء مغبة الثورة فأرسل إلى علماء الأزهر يبرىء نفسه من تبعة الظلم، ويلقيها على كاهل شريكه مراد بك. وأرسل في الوقت نفسه إلى مراد يحذره عاقبة الثورة.

فاستسلم مراد بك ورد ما اغتصبه من أموال، وأرضى نفوس المظلومين. لكن العلماء طالبوا بوضع نظام يمنع الظلم ويرد العدوان. واجتمع الأمراء مع العلماء. وكان من بينهم الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير.

وأعلن الظالمون أنهم تابوا والتزموا بما اشترطه عليهم العلماء. وأعلنوا أنهم سيبطلون المظالم والضرائب والكف عن سلب أموال الناس والإلتزام بإرسال صرة مال أوقاف الحرمين الـ شريفين والعوائد المقررة إليهم وكانوا ينهبونها. وكان قاضي القضاة حاضراً. فكتب على الأمراء وثيقة أمضاها الوالي العثماني وإبراهيم بك ومراد بك شيخا البلد.

الأزهر يقود الثورة :

تحمل الأزهر تبعات الزعامة الوطنية وقيادة الأمة والوقوف أمام المعتدي حين تعرضت مصر سنة 1213 هـ= 1798 م للحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت؛ فلم ينخدع علماء الأزهر بمحاولات التودد وإظهار التبجيل والتقدير الذي أبداه قائد الحملة نحوهم، حيث أشعلوا ثورة القاهرة الأولى في 11 من جمادى الأولى 1213 هـ = 21 من أكتوبر 1798 م والتي هاجمت الجنود الفرنسيين وفتك بهم الثوار، ولم تهدأ الثورة إلا بعد أن ضربوا الأزهر والجهات المحيطة به بالمدافع واحتلوا الجامع بخيولهم وبالوا فيه، وألقوا بالمصاحف على الأرض وداسوا عليها بأحذيتهم، وسلبوا ما وجدوا من أموال الطلبة في أروقة الأزهر، وقبضوا على عدد من مشايخ الأزهر المتهمين بالتحريض على الثورة وأعدموا بعضهم.

استمر الأزهر على موقفه من التحدي ومقاومة المستعمر بشتى الوسائل الممكنة؛ فاشترك في ثورة القاهرة الثانية التي اشتعلت في **16** من شوال **1214**هـ = **20** من مارس **1800**م ودامت **33** يوما، وكان من زعمائها من مشايخ الأزهر: محمد السادات، وعمر مكرم.. ورأى كليبر القائد العام للحملة بعد رحيل نابليون أن يستعين بعلماء الأزهر للتوسط بينه وبين زعماء الثورة، غير أن هذه الوساطة لم تلق نجاحا وقام كليبر بضرب العاصمة بكل وحشية حتى استسلمت.

وفي أثناء ذلك أقدم "سليمان الحلبي" وهو أحد طلبة الأزهر باغتيال كليبر أثناء تجوله في حديقة منزله وذلك في **21** من المحرم **1121** هـ= **14** من يونيو **1800**م، وأسفر التحقيق عن سؤال عدد من الشيوخ والأساتذة والقبض على عدد منهم وانتهت محاكمتهم إلى إعدام سليمان الحلبي وثلاثة ممن كانت لهم به صلات قبل إقدامه على عملية الاغتيال.

إغلاق الجامع الأزهر :

وبعد الحادث قام الفرنسيون باتخاذ إجراءات أمن مشددة في الأزهر فقاموا بإحصاء الطلبة وكتبوا أسماءهم في قوائم وأمروا بحفر بعض الأماكن بداخل الجامع بحجة التفتيش على الأسلحة وأخرجوا منه الطلاب العثمانيين والشوام. وأحس القائمون على الأزهر أن سلطات الاحتلال الفرنسي تبيت أمرا فرأوا تفويت الفرصة عليهم، وذلك لأن بقاء الجامع مفتوحا في مثل هذه الظروف العصيبة لا يخلو من أخطار؛ فرأى شيخ الأزهر "عبد الله الشرقاوي" ومن معه من كبار العلماء إيقاف الدراسة في الأزهر، وتعطيل الصلاة فيه فتم إغلاق المسجد وتسمير أبوابه من جميع الجهات.

وظل الأزهر مغلقا زهاء عام حتى إذا أعلنت أنباء شروع الفرنسيين في الجلاء عن مصر بادر القائمون عليه بتنظيفه وفتح أبوابه في 19 من صفر 1216 = 2 من يوليو 1801م، وحرص الصدر الأعظم "يوسف ضياء باشا" على زيارة الجامع وتفقد أحواله وسير الدراسة فيه عقب افتتاحه.. وعادت الحياة العلمية والدينية إلى الجامع، وتدفق طلبته إلى أروقته يتلقون دروسهم، ومضى الأزهر في طريقه المرسوم لخدمة الدين والعربية.

ويجب ألا ننسى أنه أثناء العصر المملوكى وعندما كان يجور أحد أمراء المماليك على الأهالى ويفرض عليهم المكوس والضرائب كان ملاذ الأهالى الجامع الأزهر يحتمون به وبعلمائه فيركب المشايخ ويذهبون للأمراء والحكام ولا يعودون إلا بعد أن يعيدوا الحق المغتصب لأهله. حتى كان للشعب ما أراد بقيادة علمائه، ورحل الفرنسيون عن مصر .

الأزهر والاستبداد العثمانى :

واستطاع علماء الأزهر أن يفرضوا على الخليفة العثماني الوالي الذي ارتضوه، وهو محمد على باشا، بعد أن أخذوا عليه المواثيق والعهود بالعدل بين الرعية، إلا أنه نقض ما أبرمه من عهد وخان ما بذله من وعد واستبد بالحكم، فثار عليه علماء الأزهر بقيادة عمر مكرم، فلاينهم محمد علي حتى استطاع أن ينفي عمر مكرم ويشرد باقي العلماء .

وقد استطاع علماء الأزهر عزل الوالى المستبد خورشيد باشا بعد أن نزل السلطان العثمانى على رغبتهم ولا ننسى أنهم من ولوا محمد على ولاية مصر بعد ان فرضوه على السلطان العثمانى وكم من مذاهب هدامة ومحاولات تنصيرية حاولت التسلل لمصر المحروسة فوقف فى وجهها الأزهر بشموخ وقضى عليها . وسيظل الأزهر الشريف موضع تبجيل واحترام وأعزاز من الجميع .

كذلك قام الشعب المصري العظيم بقيادة علماء الأزهر بصد الحملة الإنجليزية على مصر سنة 1807م المعروفة باسم حملة فريزر .

وكذلك كان علماء الأزهر في عهد خلفاء محمد علي، يشعلون الثورة ضد هذه الأسر الباغية كلما انتهكت الحرمات، وواصلوا جهادهم ضد الاحتلال الإنجليزي حتى تمام الجلاء . ومن فوق منبر الأزهر الشريف أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الجهاد المقدس ضد جيوش الطغاة المعتدين عام 1956م فيما عرف بالعدوان الثلاثي على مصر، فكانت صيحة مدوية في أسماع العاملين، وانتفض الشعب المصري يجاهد المعتدين حتى تمام الانسحاب. وهكذا كان موقف الأزهر الشريف وعلمائه من الحياة العامة والسياسية جهادا ◦ في سبيل الله وفي سبيل الوطن ودفعا للظلم والعدوان، ولا غرو فالإسلام دين ودولة .

كما كان للأزهر أيضاً دور علمي وثقافي عظيم بثَّ إشعاع المعرفة في شتى أقطار العالم ، وحفظ اللغة العربية والثقافة الإسلامية في عصور التدهور و الانحطاط، وإبان سيادة الاستعمار الغربي على الأقطار العربية .

فالأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وآثره في تقدم البشر ورقي الحضارة، وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس في الدنيا والآخرة. كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمي والفكري للأمة العربية وإظهار أثر العرب في تطور الإنسانية وتقدمها.

وتعمل على رقي الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والإنسانية والقيم الروحية، وتزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالمختصين وأصحاب الرأي فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافية الدينية والعربية ولغة القرآن. وتخريج علماء عاملين متفقهين في الدين، يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة، والربط بين العقيدة والسلوك. وتأهيل عالم الدين للمشاركة في كل أسباب النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة، وعالم الدنيا للمشاركة في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات الإسلامية والعربية والأجنبية. ومقره القاهرة، ويتبع رئاسة الجمهورية".

وأوضحت المادة الثانية من القانون رقم 103 لسنة 1961م ملامح الأزهر الجديد، وأنه يعيش بالإسلام في واقع المجتمع، وينفث روح الدين في شتى مجالات العمل في الدنيا، ويأخذ مكانه في العالم من خلال هذا الدور الذي يربط علوم الدين بالدنيا، و نصت على: يرأس الأزهر الشريف الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر. وقد وضع القانون المشار إليه اختصاصات شيخ الأزهر فنصت المادة (4) على الآتي: شيخ الأزهر الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية في الأزهر وهيئاته، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر".

وحاليا جامع الأزهر كمسجد يتبع وزارة الأوقاف ولا يتبع مشيخة الأزهر الموجودة بمقرها الجديد بحديقة الخالدين بالدراسة .

شيوخ الأزهر

كان النظام المتبع أن ينتخب من بين كبار العلماء ناظر يشرف على شئونه منذ إنشائه إلى آخر القرن الحادي عشر الهجري. فقد أنشىء منصب شيخ الجامع الأزهر في عهد الحكم العثماني ليتولى رئاسة علمائه، ويشرف على شئونه الإدارية، ويحافظ على الأمن والنظام بالأزهر.

وهذا ثبت بأسماء شيوخ الأزهر:

- الشيخ محمد عبد الله الخرشي المالكي المتوفى سنة 1101هـ / 1690م
- الشيخ إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين البرماوي الشافعي (1101 هـ – 1106 هـ/ 1690 م– 1694 م)
- الشيخ محمد النشرتي المالكي (1106 هـ – 1120 هـ / 1694 م – 1708م)
- الشيخ عبد الباقي القليني المالكي (1120 هـ– ؟ / 1708م)
- الشيخ محمد شنن المالكي (1133 هـ / 1721 م)
- الشيخ إبراهيم موسى الفيومي المالكي (1133 هـ – 1137هـ / 1721م – 1725م)
- الشيخ عبدالله الشبراوي الشافعي (1137هـ – 1171 هـ / 1725م – 1757م)

- **الشيخ محمد سالم الحفني الشافعي (1171هـ -1181 هـ / 1757م - 1767م)**
- **الشيخ عبد الرؤوف السجيني الشافعي (1181هـ - 1182 هـ / 1767م - 1768م)**
- **الشيخ أحمد الدمنهوري الشافعي (1182 هـ -1190 هـ / 1767 م -1776م) .**

(عطلت المشيخة مدةً بسبب نزاعات وشغب بين الحنفية والشافعية)

- **الشيخ أحمد العروسي الشافعي (1192 هـ - 1208 هـ / 1778 م - 1793 م) .**
- **الشيخ عبدالله الشرقاوي الشافعي (1208هـ - 1227 هـ / 1793م - 1812م) .**
- **الشيخ محمد الشنواني الشافعي (1227هـ - 1233هـ / 1812م - 1818م) .**
- **الشيخ محمد أحمد العروسي الشافعي 1233هـ - 1245 هـ / 1818م - 1829م**
- **الشيخ أحمد بن علي الدمهوجي الشافعي (1245 هـ - 1246 هـ / 1829م - 1830م)**
- **الشيخ حسن بن محمد العطار (1246هـ - 1250 هـ / 1830م - 1834م)**
- **الشيخ حسن القويسني الشافعي (1250هـ - 1254 هـ / 1834م - 1838م)**
- **الشيخ أحمد عبد الجواد الشافعي (1254هـ -1263 هـ / 1838م - 1847م)**
- **الشيخ إبراهيم البيجوري الشافعي (1263 هـ -1277 هـ / 1847 م - 1860م) (حدثت اضطرابات في الأزهر، فظل بلا شيخ، و تم تعيين أربعة وكلاء نيابة عن الشيخ البيجوري للقيام بشئون الجامع، ولما توفي سنة 1277 هـ (1860 م) استمروا في القيام بشئون الأزهر حتى عين الشيخ العروسي.)**

- **الشيخ مصطفى العروسي (1281 هـ – 1287 هـ / 1864 م – 1870 م)**
- **الشيخ محمد المهدي العباسي الحنفي (1287هـ – 1299 هـ / 1870م – 1882م)**
- **الشيخ شمس الدين الإنبابي الشافعي (1299هـ – 1313 هـ / 1882م – 1896م)**
- **الشيخ حسونة النواوي الحنفي (1313هـ – 1317 هـ / 1896م – 1900م)**
- **الشيخ عبد الرحمن القطب الحنفي النواوي (1317 هـ /1900م)**
- **الشيخ سليم البشري المالكي (1317هـ – 1320 هـ / 1900 م –1904م)**
- **السيد علي بن محمد الببلاوي، استقال في شهر محرم عام 1323 هـ / 1905م**
- **الشيخ عبد الرحمان الشربيني، استقال سنة 1327 هـ/ 1909م**
- **الشيخ حسونة بن عبد الله النواوي، استقال في العام نفسه (1327 هـ – 1909م)**
- **الشيخ سليم البشري إلى سنة 1335 هـ/ 1916م**
- **الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي (14 ذي الحجة 1325هـ–1348هـ/1907م–1928م)**
- **الشيخ محمد مصطفى المراغي الحنفي : من 1928م إلى أن استقال سنة 1930م**
- **الشيخ محمد الأحمدي الظواهري (1930م – 1935م)**

- **الشيخ محمد مصطفى المراغي "للمرة الثانية" (1935م – 1945م)**
- **الشيخ مصطفى عبد الرازق (1945 م – 1947 م)**
- **الشيخ محمد مأمون الشناوي (1948م – 1950م)**
- **الشيخ عبد المجيد سليم البشري (1950م – 1951م)**
- **الشيخ إبراهيم حمروش (1951م – 1952م)**
- **الشيخ عبد المجيد سليم البشري "للمرة الثانية" (1952م – 1952م)**
- **الشيخ محمد الخضر حسين (1952م – 1954م)**
- **الشيخ عبد الرحمن تاج (1954م – 1958م)**
- **الشيخ محمود شلتوت (1958م – 1963م)**
- **الشيخ حسن مأمون (1963 م – 1969 م)**
- **الدكتور محمد الفحام (1969 م – 1973 م)**
- **الدكتور عبد الحليم محمود (1973 م – 1978 م)**
- **الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار (1979 م – 1982 م)**
- **الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (1982 م – 1996 م)**
- **الدكتور محمد سيد طنطاوي (1996 م) .**

مشيخة الازهر بين الانتخاب والتعيين

يتردد كثيرا في أدبيات كتب التراجم والتاريخ اقتران لقب شيخ الإسلام ببعض الأئمة الأعلام، من أمثال ابن تيمية، وابن حجر العسقلاني، وزكريا الأنصاري. ولم يعرف هذا اللقب في القرون الهجرية الأولى على الرغم من امتلائها بكبار التابعين وأصحاب المذاهب الفقهية، وفحول الحفاظ والمحدثين، وكلهم جدير بأن يحمل هذا اللقب الكبير.

قديماً مشيخة فخرية لا وظيفية :

وأقدم من أطلق عليه هذا اللقب هو عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، المتوفى سنة 481 هـ. وتذكر كتب التاريخ أن نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه طلب من فخر الدولة وزير الخليفة المقتدي العباسي أن يمنح الخليفة الإمام الهروي لقب شيخ الإسلام، فوافق الخليفة، وأرسل في سنة 474 هـ إلى الإمام الهروي الخلعة باسم "شيخ الإسلام وشيخ الشيوخ والحكماء، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري".

وتوالى إطلاق هذا اللقب على كبار الأئمة من أعلام المسلمين، دون أن تكون له دلالة وظيفية يترتب عليها إجراءات معينة، وإنما يطلق من باب تكريم النابهين من العلماء.

العثمانيون يؤسسون للمشيخة الرسمية :

وظل اللقب خاليا من أي مضمون وظيفي حتى قامت الدولة العثمانية، وأصبح منصبا رسميا، وكان يطلق على شيخ الإسلام أول الأمر "مفتي العاصمة"، وأحيانا "المفتي الأكبر"، ويعتقد أن السلطان محمد الفاتح هو أول من استحدث لقب شيخ الإسلام في تاريخ الدولة العثمانية بعد أن فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، ونقل عاصمة بلاده إليها وصارت تعرف بإستانبول.

وتمتع شيخ الإسلام في الدولة العثمانية بمركز مرموق للغاية، فهو رئيس هيئة العلماء، ويتقدم في البروتوكول العثماني على الصدر الأعظم (رئيس الوزراء). فعند ذهابه لمقابلة السلطان يخف السلطان لاستقباله متقدما سبع خطوات، ويسمح للشيخ بتقبيل كتفه، على حين لم يكن يتقدم لاستقبال الصدر الأعظم والوزراء أكثر من ثلاث خطوات، ولا يسمح للصدر الأعظم إلا بلثم ذيل ثوبه.

وكان السلطان العثماني هو الذي يتولى اختيار شيخ الإسلام من بين كبار رجال القضاء والمفتين، ويصدر فرمانا سلطانيا بتعيينه في هذا المنصب، وكانت الدولة تخصص له أحد كبار ضباط القصر السلطاني لمساعدته في ارتداء ملابس التشريفة.

وكان الصدر الأعظم والوزراء – وفي بعض الأحيان السلطان نفسه – يلتمسون رأيه في بعض المسائل المهمة، كما كانوا يعرضون عليه مشروعات القوانين الوضعية قبل إقرارها بصفة نهائية، ويطلبون منه الرأي في مدى مطابقتها لمبادئ الشريعة الإسلامية.

وعلى الرغم من كون شيوخ الإسلام يعيَّنو ن من قبل السلطان بفرمان منه، فإن معظمهم لم يكونوا أداة لينة في أيدي السلاطين يتصرفون بها كيف شاءوا، وكانت فتواهم ذات شأن كبير في سياسة الدولة، فكان السلطان العثماني لا يقدم على حرب دون أن يستصدر من شيخ الإسلام فتوى يقرر فيها أن هذه الحرب لا تتعارض مع الدين، وأن لها أسبابها الشرعية التي تدعوا لقيامها، يعني كونها حربا عادلة.

وكانت فتاوى شيخ الإسلام ملزمة، ولا يستطيع السلطان أن يمسها من قريب أو من بعيد.

وحين حاول السلطان سليم الأول أن يعرض على رعاياه المسيحيين اختيار أمرين لا ثالث لهما، إما اعتناق الإسلام وإما القتل، وقف له شيخ الإسلام وأصدر فتوى تمنعه من التعرض للمسيحيين وتعطيهم الحق في ممارسة شعائرهم بحرية كاملة، وأن تتكفل الدولة بالمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، ما دام سلوكهم العام لا تشوبه شائبة.

وأُبلغَت هذه الفتوى إلى البطريرك اليوناني في إستانبول بصفته رئيس أكبر ملة غير إسلامية في الدولة، واعتبر هذه الفتوى ميثاقا أو مستندا يحمي الرعايا من غير المسلمين من أي اضطهاد قد يتعرضون له. وقد أذعن السلطان سليم الأول لفتوى شيخ الإسلام.

ولا أَدل على مدى النفوذ الذي بلغه شيخ الإسلام من كونه الوحيد الذي له الحق في إصدار فتوى عزل السلطان، بناء على أنه انحرف عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية أو أصيب بمرض عقلي لا يرجى شفاؤه. وقد تم عزل عدد من السلاطين العثمانيين بناء على فتوى شيخ الإسلام، مثل السلطان سليم الثالث، والسلطان عبد العزيز.

وعندما آلت السلطة في الدولة العثمانية إلى جماعة الاتحاد والترقي عقب انقلاب سنة 1909م، حرص النظام الجديد على الانتقاص من سلطة شيخ الإسلام وسائر علماء المسلمين، وتجريدهم من اختصاصاتهم، ثم لم تلبث أن ألغيت وظيفة شيخ الإسلام مع إلغاء نظام السلطنة سنة 1922م، وكان آخر من تولى هذا المنصب هو الشيخ مصطفى صبري الذي لجأ إلى القاهرة وعاش بها حتى توفي سنة 1373هـ = 1954م.

بين شيخ الإسلام وشيخ الأزهر:

كان منصب شيخ الإسلام أقدم في الظهور من منصب شيخ الأزهر الذي نشأ بعد أكثر من سبعة قرون من قيام الأزهر، ويعد الشيخ محمد بن عبد الله الخرشي، المتوفى سنة 1101 هـ = 1690م أول من تولى مشيخة الأزهر. ويصف الجبرتي هذا المنصب بأنه أعظم مناصب العلماء.

وجدير بالذكر أن هذا المنصب ظهر ومصر تابعة للدولة العثمانية التي لم تتدخل في عملية اختيار شيخ الأزهر، ولم تفرض عالما عثمانيا لتولي هذا المنصب، على الرغم من قدرتها على ذلك.

وكان تعيين شيخ الأزهر يتم باتفاق شيوخ الجامع وعلمائه فيما بينهم، فإذا أجمعوا أمرهم على اختيار أحد العلماء أخطروا ديوان أفندي سكرتير عام ديوان القاهرة، ليقوم بإبلاغ الباشا العثماني (الوالي) باسم الشيخ الجديد، كما يخطرون شيخ البلد وهو كبير الأمراء المماليك والرجل الثاني بعد الباشا العثماني.

ويقام حفل كبير بهذه المناسبة، ويتولى الوالي أو شيخ البلد إلباس شيخ الأزهر الرداء الرسمي الذي يسمى "فرو سمور" وكان يخلَع على الذين يتولون المناصب الكبرى في مصر، وكان هذا الإجراء من قبل السلطات الحاكمة إقرارا منها بتعيين ما اختاره العلماء شيخا للجامع الأزهر.

وباختيار شيخ الأزهر يصبح هو الرئيس الأعلى للجامع، وله الإشراف المباشر على العلماء والطلبة، وله مخصصاته النقدية والعينية، كما يصبح بحكم منصبه عضوا في الديوان الكبير بالقاهرة، الذي كان يعقد برئاسة الباشا العثماني أو نائبه.

وترتب على الاختيار الحر لمنصب شيخ الأزهر أن تبوأه علماء من مختلف المذاهب الفقهية من الشافعية والمالكية والحنفية. ومن بين شيوخه من كان كفيف البصر، وهو الشيخ حسن القويسني، الذي تولى المشيخة بعد الشيخ حسن العطار في عهد محمد علي، وأحد شيوخ الأزهر وهو الشيخ محمد العباس المهدي كان جده لوالده نصرانيا أسلم على يد الشيخ الحفني الإمام الثامن من شيوخ الأزهر.

وجاء الاختيار الحر بثلاثة من أسرة واحدة: جد وابن وحفيد، تولوا مشيخة الأزهر في سابقة لم تحدث من قبل في تاريخ الأزهر، وهم الشيخ أحمد العروسي (1192-1208 هـ = 1778- 1793م) وابنه الشيخ محمد أحمد العروسي (1233-1245هـ = 1818-1829م)، والشيخ مصطفى محمد أحمد العروسي، الذي تولى المشيخة سنة (1281 هـ = 1865م).

وكان شيخ الأزهر إذا عيِّن يظل في منصبه حتى وفاته، حتى إنه لما اضمحلت صحة الشيخ الباجوري لكبر سنه تقرر إقامة أربعة وكلاء عنه: اثنين من الشافعية، وواحد من الحنفية، وآخر من المالكية، برئاسة الشيخ مصطفى العروسي لمباشرة شئون الأزهر، حتى توفي الشيخ الباجوري سنة 1277هـ = 1860 م.

السلطة تتدخل حال الخلاف :

واختيار العلماء لشيخ الأزهر كان يتم في غالب الأحيان في هدوء ودون صخب أو ضجيج، إلا في حالات قليلة احتدمت فيها المنافسة بين المرشحين، واستحال الاتفاق على شيخ معين، وفي هذه الحالات كان يتدخل الأمراء المماليك إلى جانب المرشح الذي يبدو لهم أن معظم المشايخ يؤيدونه،

وكان هذا التدخل يحسم الموقف نهائيا إذا جاء في الوقت المناسب وقبل أن يتدهور الموقف بين المتنافسين وأنصارهم، ويتحول إلى معركة حامية مثلما حدث بين الشيخ عبد الباقي القليني والشيخ أحمد نفراوي حين تنافسا على منصب مشيخة الأزهر عقب وفاة الشيخ محمد النشرتي شيخ الجامع الأزهر في (ذي الحجة 1120 هـ = مارس 1709 م).

ومع تولي أسرة محمد علي الحكم في مصر، بدأ التدخل واضحا في عملية اختيار شيخ الأزهر، وأول مظاهر ذلك كان بعد وفاة الشيخ عبد الله الشرقاوي في (شوال 1227 هـ= أكتوبر 1812 م)، فحين اختار المشايخ محمد المهدي للمشيخة وهنأوه بذلك وانتظروا صدور القرار من محمد علي كما هو متبع في ذلك، فوجئوا بأن الوالي لم يأخذ برأيهم وعين الشيخ محمد الشنواني شيخا للأزهر.

وظل منصب شيخ الأزهر محاطا بالهيبة والوقار، ولا يستطيع أحد من الولاة عزل صاحبه، حتى أقدم الخديوي إسماعيل على عزل الإمام مصطفى العروسي الشيخ العشرين فى سلسلة مشا يخ الأزهر في سابقة هي الأولى من نوعها في تاريخ الجامع الأزهر، وقد شجعه ذلك على تكرار مثل هذا العمل والاجتراء، الأمر الذي عرَّض المنصب الكبير للاهتزاز، حتى تولاه خمسة في عهده، بحيث لم يبق فيه أحدهم أكثر من ثلاث سنوات.

ظهور جماعة كبار العلماء :

ومع الجهود المبذولة لتطوير جامع الأزهر وإصلاحه، ظهرت جماعة كبار العلماء سنة (1239هـ = 1911 م) في عهد المشيخة الثانية للشيخ سليم البشري (حيث تولى المشيخة في 1317هـ لكنه استقال من منصبه 1320هـ ثم عاد إليه مرة أخرى 1327هـ واستمر به حتى وفاته) وكانت الجماعة تتكون من ثلاثين عالما من صفوة علماء الأزهر، واشترط في دخولهم هذه الهيئة ألا تقل سنهم عن 45 سنة، وأن يكون مضى عليه وهو مدرس بالجامع الأزهر عشر سنوات على الأقل، من بينها أربع سنوات في القسم العالي، وأن يكون معروفا بالورع والتقوى.

وكانت هذه الجماعة هي أكبر هيئة علمية شرعية في العالم الإسلامي، ولا ينال عضويتها إلا الجهابذة من علماء الأزهر، وطريق العضوية رسالة علمية دقيقة ينال بها شرف الانتساب إلى هذه الهيئة، وتغير اسم الهيئة في عهد الشيخ المراغي إلى " هيئة كبار العلماء " .

ونص قانون الأزهر أن يكون اختيار شيخ الجامع الأزهر من بين جماعة كبار العلماء، وكان ذلك يضمن ما يجب أن يكون عليه شيخ الأزهر من العلم والمعرفة والسمعة وحسن الخلق.

غير أن هذا لم يمنع من تدخل الأهواء السياسية في تخطي هذه الهيئة العلمية في اختيار شيخ الأزهر، والتحايل على شروط الترشيح، مثلما فعلت في اختيار الشيخ مصطفى عبد الرازق، وهو على علمه وسمعته الطيبة وأخلاقه الدمثة لم يكن من بين هيئة كبار العلماء، وكان ترشيحه للمنصب يعني صدام الحكومة المصرية مع الهيئة، وهو ما حدث بالفعل، فتقدم ثلاثة من كبار أعضائها باستقالاتهم احتجاجا على ما أقدمت عليه الحكومة، ولم يكن رفضهم اعتراضا على شخص مصطفى عبد الرا زق أو تقليلا من شأنه، ولكنه كان احتراما للقانون ودفعا لطغيان السلطة التي تريد أن تعبث بهيبة علماء الأزهر ومكانتهم.

تطوير الأزهر يلغي الهيئة :

وبصدور القانون رقم 103 لسنة 1961م الخاص بتطوير الأزهر، ألغيت هيئة كبار العلماء وحل محلها ما عرف باسم مجمع البحوث الإسلامية، ويتكون من خمسين عضوا على الأكثر، من بينهم ما لا يزيد عن عشرين من غير المصريين من كبار علماء العالم الإسلامي، ولا تسقط العضوية إلا بالوفاة أو الاستقالة أو العجز الصحي، والمجمع هو الذي يقرر إسقاط العضوية، وهو الذي يملأ المكان الشاغر بانتخاب أحد المرشحين، بالاقتراع السري وبأغلبية الأصوات.

وجعل هذا القانون شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية وفي كل ما يتعلق بالقرآن وعلوم الإسلام، ويعيَّن بقرار من رئيس الجمهورية من بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

غير أن هذا القانون ضيق سلطات شيخ الأزهر، وغلّ يده عن التصرف، بأن جعل للأزهر وزيرا لشئونه يجمع في يديه كل السلطات، وهو ما عجل بحدوث أزمة قوية بين شيخ الأزهر وبين الوزير الذي يكاد يسلب المنصب الكبير كل صلاحية، وظلت الأزمة قائمة منذ عهد الشيخ محمود شلتوت حتى تولى الشيخ عبد الحليم محمود مشيخة الأزهر فكان له موقف آخر، وقدم استقالته حرصا على مقام الإمام الأكبر، ولم يعد إلى منصبه حتى تغير القانون القديم وصدر قانون جديد في سنة 1975 يلغي منصب وزير الأزهر، ويعطي كل صلاحياته لشيخ الأزهر.

وكان الشيخ عبد الحليم محمود من طراز مختلف فلم تقيده اللوائح والقوانين، وإنما طغت شخصيته عليها، واستشعر حجم المسئولية الملقاة على عاتقه باعتباره إمام المسلمين الأكبر والمدافع عن قضاياهم، وكان له في كل موقف رأي، وفي كل مسألة بيان، فوقف أمام زحف الفكر الشيوعي في مصر، ونادى بأعلى صوته مطالبا برد أوقاف الأزهر إليه، وأفتى بإثم من اغتصبها، وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وكوّن لجنة بمجمع البحوث الإسلامية لتقنين الشريعة الإسلامية في صيغة مواد قانونية، وتوسع في التعليم الأزهري، وتدخل لوقف الحرب الدائرة بين المغرب والجزائر سنة 1976م، وأرسل برقيات ورسائل إلى زعماء العالم العربي للتدخل في إيقاف نزيف الدم، وقد نجحت مساعيه في إيقاف الحرب، وبلغ من تقدير الرئيس السادات له أن كتب له ردا على برقيته بقوله:

"تلقيت بالتقدير برقيتكم بشأن المساعي لحل الأزمة بين الجزائر والمغرب، وأود أن أؤكد لكم أن مصر تقوم بواجبها القومي من أجل مصالح العرب والمسلمين، وما زال السيد محمد حسني مبارك نائب الرئيس يقوم بمهمته المكلف بها، أرجو الله عز وجل أن يكلل جهوده بالنجاح والتوفيق، كما أدعوه تعالى أن يوفقنا دائما لنحقق للإسلام والمسلمين كل خير وعز وازدهار...".

وإذا كان الشيخ عبد الحليم محمود قد عين من قبل الدولة في هذا المنصب، فإنه لم يكن أسير هذا الاختيار، وتحرك في ضوء ما خوَّله له القانون من حقوق، واستثمر ذلك في صالح المسلمين وقضاياهم، وليس كل من يختار لمشيخة الأزهر على شاكلة هذا الشيخ الجليل، ولذا صار من الضروري أن يترك لكبار علماء الأزهر أن يختاروا شيخه بحرية كاملة، مثلما كان من قبل، لأن في هذا مصلحة للأزهر ومصلحة للمسلمين.

التعليم الأزهرى

بدأ الأزهر منذ اليوم الأول لإنشائه , تعليم الناس , فبأ تعليم وتدريس المذهب الفاطمى فى الفقه وتعاليم الشيعة فى الدين والفلسفة والتوحيد وجلب للأزهر للتدريس فيه فطاحل العلماء فى ذلك العصر , وأجزل لهم العطاء , وبنى لهم منازل فخمة ألحقت بالأزهر , وأخذوا يدرسون ويتفقهون فى مذاهب الفاطميين وتعاليمهم , مما جعل للأزهر صيتا فى أفاق العالم الاسلامى

وكان أول كتاب قرىء فى الأزهر هو كتاب الاقتصاد فى فقه آل البيت لأبى حنيفة النعمان ابن عبد الله قاضى المعز , وظل الجامع الأزهر يقيم حلقات للدروس يلقيها بنو النعمان حتى سنة 369 هـ , عندها بدأت تتحول الدراسة الى دراسة منظمة ومستقرة , حيث قام يعقوب بن كلس بتأليف كتابا فى الفقه الفاطمى وهو الرسالة الوزيرية فى الفقة الشيعى وكان يقوم بقراءاته على الناس بانتظام كل يوم جمعة

ثم تم فى عام 378 هـ تعيين 37 فقيها وعالما بالأزهر وأنشأ لهم دارا للسكن بوار الأزهر , وفى عام 380 هـ تم تنظيم العملية التعليمية وقبول أول دفعة بالأزهر وعندما تخرجت تم تعيينها للتدريس به , وكان هناك مجلسا خاس بالنساء فى الأزهر

وظلت العملية التعليمية بالأزهر فى ازدهار , وعالج الأزهر علوم الدنيا واهتم بشئون اللغة العربية وازدهرت فيه العلوم والفنون , ولم يقتصر على النشاط الدينى , بل ينوع ليشمل العلم والأدب والفن فى مصر والشام وكذلك الفلسفة والرياضة واللغة كما كان الأزهر جامعا رسميا للدولة الفاطمية ومركزا لكثير من المناسبات والإحتفالات الدينية حتى جاءت نهاية الدولة الفاطمية 567 هـ , وعندها بدأت الدولة الإيوبية فى القضاء على الفكر الشيعى , قامت المدارس المنافسة للأزهر وتقلص دور الأزهر التعليمى طوال ثلاثة قرون , وإن كانت سلطة الأزهر كمسجد هام ظلت باهتة

وجاء عصر المماليك , فكان بمثابة عودة الروح للأزهر , وتعاظمت مسئوليته التعليمية والثقافية خصوصا بعد زحف المغول على بغداد وتدميرهم لمكتبة بغداد وكذلك بعد تقلص نفوذ الحكم الإسلامى فى الأندلس واستعاد الأزهر مكانته العلمية ولكن فى السنة بعيدا عن المذهب الشيعى , واهتم سلاطين المماليك بعمليات تجديد الأزهر

وانتشرت أروقة الأزهر مثل رواق العباسين – العثمانيين - الشراقوة – الصعايدة (والرواق : هو المسافة الواقعة بين صفى أعمدة وكانت تدرس فى الأزهر مواد وكتبا عن علوم القرآن والحديث والكلام والفقة والأصول وعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة والأدب والتاريخ واختفى فقه الشيعة ..

وفى القرن السادس الهجرى درست العلوم الطبيعية الى جانب العلوم الدينية والعربية , فعبد اللطيف البغدادى (أول شيخ للأزهر) قام بتدريس الطب والفلسفة والمنطق

وكان بعض الشيوخ يدرسون العثمانى على العلوم الطبيعية التى كانت تدرس بالأزهر إلا أن الأزهر استمر فى دراسة العلوم الدينية حتى أن العثمانيين قاموا بإرسال ذخائر الكتب والعلماء والزعماء وقادة الفكر وشيوخ الحرفيين إلى تركيا , ولذلك فقد انطوى الأزهر على نفسه فى ذلك العهد , واستطاع الأزهر فى فترة حكم العثمانيين الحفاظ على اللغة العربية كلغة لكل المصريين واستطاع كذلك الحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية فى مصر على مدى قرون ثلاثة

وبعد أن دخل نابليون مصر عام 1798 م , استدعى علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ الشرقاوى وقرر تأليف ديوان من علماء الأزهر يشرف على الحكم ويدير شئون مصر وأغلق الشيخ الشرقاوى الأزهر فى يونيو 1800 م احتجاجا على دخول الانجليز للأزهر , وأعاد افتتاحه فى أكتوبر عام 1801 بعد خروج الفرنسيين من مصر

وفى اوائل عهد محمد على كانت العلوم الدينية والعربية تدرس فى الأزهر وبعد عودة المبعوثين , الذين أرسلهم محمد على إلى أوروبا لتلقى العلم , بدأ بعضهم يعمل بدراسة العلوم الطبيعية والفكرية وظل الاسهام العلمى للأزهر يتزايد فى مصر حتى إنه فى عام **1864** م صدر أول تقرير رسمى لمشيخة الأزهر تناول العلوم التى تدرس بالأزهر على النحو التالى : الفقه – الأصول – التفسير – الحديث – التوحيد – النحو – الصرف - المعانى – البيان – البديع – متن اللغة – العروض – القافية – الحكمة – الفلسفة - التوصف – المنطق – الحساب – الجبر – الفلك – الهيئة علوم الهندسة – التاريخ - الموسيقى– رسم المصحف ..

ثم صدر العديد من القوانين والقرارات لتنظيم الأزهر الشريف ولتنظيم الدراسة به , وأكدت معظم هذه القرارات أن لايتصدى أحد لمهنة التدريس فى الجامع الأزهر إلا من انتهى من دراسة أمهات الكتب فى أحد عشر فنا ويجتاز إمتحانا فيها على يد لجنة مكونة من ستة أعضاء يرأسهم شيخ الأزهر

وظل نظام الأزهر يتطور , وتتألف لجان لاصلاح الأزهر وإدخال بعض المواد والمناهج الرياضية من هنسة عملية وحساب ومبادىء علوم وتدبير صحة ورسم , وجغرافيا وتاريخ ومنطق . وغير ذلك وتطورات الشهادات التى يمنحها الأزهر بنفسه , ففى البداية لم تكن هناك أية شهادات ثم جاء الشيخ محمد مهدى العباسى عام 1287هـ ومنح شهادات درجة أولى وثانية وثالثة للذين يتم امتحانهم بالأزهر , ثم بدأ عام 1896 م منح شهادة العالمية والشهادة الاهلية بدرجات ثلاث مثل التقديرات الآن ثم استقرت شهادة الأزهر على إسم العالمية للأزهر وكذلك الثانوية بعد ذلك , كما فتح الأزهر شهادات تخصصية مثل العالمية فى الدعوة والإرشاد وكانت هناك شهادات للغرباء منها الشهادة الأهلية للغرباء أو الشهادة العالمية للغرباء وأخذ نظام الأزهر يتطور .. وبدأت المعاهد الأزهرية تنتشر فى المحافظات من معاهد ابتدائية وإعدادية وثانوية .. بالاضافة إلى الكليات .. وجاءت ثورة 23 يوليو 1952 . فأعطت الأزهر الشريف اهتمام خاصا نظرا لمكانته العلمية .. ونظرا لمكانته الدينية .. ولم لا

الأزهر جامعة إسلامية

استرد الأزهر عافيته في عهد الدولة المملوكية، واستعاد مكانته السابقة باعتباره معهدا علميا راقيا، وزاد من مكانته قضاء التتار على بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وسقوط قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس؛ فأصبح الأزهر مقصد العلماء والطلاب من سائر أنحاء العالم الإسلامي، وتبوأ نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية، وأصبحت مصر بفضله أم العالم وينبوع العلم كما قال ابن خلدون، وهو واحد من العلماء الذين وفدوا إلى مصر، وتولوا التدريس في الأزهر.

فالمماليك أبدوا اهتماماً كبيراً بالأزهر الشريف... بناء وتجديداًوأنشأوا ورصدوا أوقافاً عديدة لطلاب الفقه والحديث وعلوم القرآن الكريم وبقية المعارف الإسلامية من تفسير وبلاغة ونحو وصرف وعلم الكلام ، إضافة إلى العلوم العقلية من فلسفة ومنطق ورياضيات وفلك وعلم النجوم، وبرز في العصر المملوكي العشرات من علماء الازهر الشريف الذين أغنوا المكتبة الإسلامية والعربية عطاء علمياً وإسلامياً في كافة مجالات الحياة.

وبرزت في هذا العصر وفي مصر بالذات كوكبة من العلماء الأفذاذ قادوا الدعوة الإسلامية والوحدة بين المسلمين في كافة أقطارهم وأمصارهم ومدارسهم الفقهية أمثال:

1. الإمام البوصيري الشاعر والأديب المعروف 625هـ.
2. الإمام الفقيه ابن دقيق العيد 702هـ.
3. الإمام النويري صاحب نهاية الأرب 732هـ.
4. ابن هشام صاحب المؤلفات الشهيرة في النحو 749هـ.
5. الإمام تقي الدين السبكي رئيس علماء الشافعية وله 150 كتاباً 756هـ.
6. ابن عقيل النحوي الشهير769 هـ.
7. شيخ الإسلام البلقيني 806هـ.
8. ابن الدقماق مؤرخ مصر 809هـ.
9. الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط 817هـ
10. الإمام تقي الدين المقريزي صاحب الخطط 845هـ
11. الإمام الحافظ المحدث ابن حجر العسقلاني 825هـ.
12. الإمام السيوطي صاحب تاريخ الخلفاء وله 500 مؤلف 911هـ.

وغيرهم العشرات، ووفد إلى مصر وأزهرها الشريف في ذلك العصر: الرحالة ابن بطوطة، وابن خلدون، ومحمد تقي الدين الفاسي، وابن حيان الغرناطي وغيرهم الكثيرون .

وظل الجامع الأزهر في العهد العثماني (923–1213هـ – 1517–1798م) موضع عناية الخلفاء العثمانيين وولاتهم في مصر، فازدحم بالعلماء والدارسين، وبحلقات العلم التي لم تقتصر على العلوم الشرعية واللغوية، بل شملت أيضا علم الهيئة الفلك والرياضيات من حساب وجبر وهندسة.

نظام التعليم في الجامع الأزهر:

كان الطالب يلتحق بالأزهر بعد أن يتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، ويحفظ القرآن الكريم ودون اشتراط لسن معينة، ثم يبدأ في تلقي العلم على من يريد من العلماء والأساتذة الذين كانوا يدرسون علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والبلاغة والمنطق وعلم الكلام.

وكان طلبة الأزهر أحرارا في الانتظام بالدراسة أو الانقطاع عنها نهائيا أو لفترة من الوقت ثم يعاودون الدراسة إذ لم تكن هناك لوائح تنظم سير العمل وتحدد مناهج الدراسة، والفرق الدراسية وسنوات الدراسة، وكان الطالب إذا وجد في نفسه أنه أهل للتدريس والجلوس موقع الأساتذة، استأذن شيوخه وقعد للدرس، فإذا لم يجد فيه الطلاب ما يرغبون من علم انفضوا عنه، أما إذا وجدوا عنده علما التفوا حوله ووثقوا فيه، وحينئذ يجيزه شيخ الأزهر.

تطوير نظام التعليم في الأزهر:

ظل الأزهر يجري في نظم تعليمه على ما كان عليه من قبل دون أن يحدث تغيير أو تطوير في مناهجه الدراسية حتى تولى محمد علي حكم البلاد في مصر واتبع سياسات جديدة في التعليم، وأعرض عن الأزهر ونزع سائر الأملاك التي كانت موقوفة على الأزهر، فساءت أحواله، وانصرف عنه كثير من الطلاب؛ ومن ثم ظهرت دعوات جادة لإصلاح الأزهر وإدخال بعض العلوم الحديثة في مناهجه الدراسية، فصدر أول قانون في سنة 1288هـ - 1872م في عهد الخديوي إسماعيل ينظم الحصول على نيل الشهادة العالمية، وحدد المواد التي يمتحن فيها الطالب بإحدى عشرة مادة دراسية هي: الأصول، والفقه، والتوحيد،

والحديث، والتفسير، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق، للنجاح في هذا الامتحان ثلاث درجات أولى وثانية وثالثة، ويعد صدور هذا القانون أول خطوة عملية في تنظيم الحياة الدراسية بالجامع الأزهر، غير أنه لم يحقق كثيرا من الإصلاح المنشود.

قوانين إصلاح الأزهر:

وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني ظهرت بالأزهر حركة إصلاحية جديدة يقودها الشيخ محمد عبده، وكان من نتيجة هذه الحركة أن صدر قانون عام (1314هـ - 1896م) وقد حدد قبول التلاميذ بالأزهر بخمسة عشر عاما.. واشترط في المتقدم معرفة القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وحدد المقررات التي تدرس بالأزهر، وأدخل إليها طائفة من المواد الجديدة تشمل الأخلاق ومصطلح الحديث والحساب والجبر، والعروض والقافية، والتاريخ الإسلامي، والإنشاء، ومتن اللغة، ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان، وأنشأ هذا القانون شهادة تسمى شهادة الأهلية، يتقدم إليها من قضى بالأزهر ثماني سنوات، وشهادة أخرى تسمى الشهادة العالمية ويتقدم إليها من قضى بالأزهر اثني عشر عاما على الأقل.

ظهور كليات أخرى:

ثم صدر قانون جديد في سنة 1239هـ – 1911م بمقتضاه زادت مدة الدراسة إلى خمسة عشر عاما، مقسمة على ثلاث مراحل، لكل منها نظام ومواد خاصة، وتوالت على هذا القانون تعديلات عليه، كان آخرها وأهمها القانون الذي ظهر سنة 1349 هـ – 1930م في عهد الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر، وكان خطوة كبيرة نحو استكمال الإصلاح ومسايرة التقدم العلمي، إذ جعل هذا القانون الدراسة بالأزهر أربع سنوات للمرحلة الابتدائية، وخمس سنوات للمرحلة الثانوية.

وأنشأ ثلاث كليات هي:

- كلية أصول الدين،
- وكلية الشريعة،
- وكلية اللغة العربية.

ومدة الدراسة بها أربع سنوات، وبعد الكليات كان هناك نظام التخصص، ويشمل تخصصا في المهنة ومدته عامان، وتخصصا في المادة ومدته خمسة أعوام، ويمنح المتخرج فيه شهادة علمية من درجة أستاذ، وقد نقل هذا القانون الطلاب من المساجد إلى مبانٍ مخصصة للتعليم، واستبدل بنظام الحلقات الدراسية التي كانت تعقد نظام الفصول والمحاضرات، وأصبحت كل كلية مسئولة عن التعليم ومشرفة على البحوث العلمية التي تتصل بعلومها، وأطلق على القسمين الابتدائي والثانوي اسم المعاهد الدينية، وكان هذا القانون خطوة حاسمة في سبيل القضاء على نظم الدراسة القديمة، وبداية ميلاد جامعة الأزهر.

الأزهر جامعة كبرى:

على أن ذلك لم يكن كل شيء في تنظيم التطور الجامعي بالأزهر، فصدر القانون رقم 103 في 22 من المحرم 1381هـ - 5 من يوليو 1961م لتنظيم الأزهر، وجعله أكثر جامعة إسلامية، وأن يقوم برسالته على خير وجه، وأن يحصل خريجوه على قدر من العلم والمعرفة لا تقل بحال عن أقرانهم في الجامعات الأخرى، وألا يتخلف الأزهر في مجال العلوم الحديثة والتطورات السريعة التي تطرأ على مختلف العلوم والمعرفة.

وبمقتضى هذا القانون أصبح شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية، والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وأنشأ قانون الأزهر خمس هيئات هي: المجلس الأعلى للأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، وإدارة الثقافة والبعوث الإسلامية، وجامعة الأزهر، والمعاهد الأزهرية.

وأصبح الأزهر بمقتضى هذا القانون جامعة كبرى تضم إلى جانب كلياته الثلاث: أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية ـ كليات مدنية تضم: كلية المعاملات والإدارة، وكلية الهندسة، وكلية الطب، وكلية الزراعة، وكلية البنات، التي جعلت بمثابة جامعة خاصة تشتمل على أقسام: الطب، والعلوم، والتجارة، والدراسات الإسلامية، والدراسات العربية، والدراسات الاجتماعية والنفسية، كما أعيد نظام الحلقات الدراسية القديمة تحت اسم كلية الدراسات العربية والإسلامية.

وهكذا تحول الجامع الأزهر إلى جامعة حديثة ذات كليات ومعاهد مختلفة، تقدم إلى طلاب العلم مختلف المواد العلمية والأدبية الحديثة إلى جانب الرسالة التي نهض بها الأزهر منذ إنشائه، وهي المحافظة على علوم اللغة والدين

فمن على منبر الأزهر الشريف أعلن الرئيس جمال عبد الناصر الدفاع عن مصر ضد العدوان الثلاثى ... وهب الشعب معه ومن الأزهرتخرج أغلب عباقرة مصر .. ولذلك .. صدر قانون تطوير الأزهر ..

صدر القانون رقم **103** لسنة **1961** بشأن اعادة تنظيم الأزهر الشريف والهيئات التى يشملها حتى يتم اصلاح جذرى شامل للأزهر وكان هدف القانون ...

أن يبقى الأزهر أكبر جامعة اسلامية وأقدم جامعة فى الشرق الاوسط والغرب ... وأن يظل الأزهر حصنا للدين والعروبة وأن يخرج علماء يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا كلها ..وأن يتحقق قدر من المعرفة والخبرة وأن يتم منح جميع خريجى الأزهر شهادات فينص قانون تطوير الأزهر على أن :

الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية الى كل الشعوب ... كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية ...

وتخريج علماء عاملين متفقين فى الدين يجمعون إلى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة

وبذلك أصبح الأزهر تابعا لرئاسة الجمهورية وشيخ الأزهر يرأس المجلس الأعلى للأزهر ويختار من بين هيئة مجمع البحوث الاسلامية أوممن تتوافر فيه شروط العضوية فى الهيئة وأكد على أن للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس وحدد هيئات الأزهر وتكوينه..

الأزهر الآن

يتكون الأزهر الشريف من عدة هيئات فلم يعد مجرد جامع الأزهر , أو مجرد جامعة الأزهر ... ولكنه مؤسسة ضخمة لخدمة الاسلام والمسلمين ... ويضم جهات متعددة ... وهى

– المجلس الاعلى للأزهر : برئاسة شيخ الأزهر وعضوية وكيل الأزهر وبعض الأعضاء ويختص بتخطيط ورسم السياسة العامة للأزهر ورسم السياسة التعليمية لجامعة الأزهر والمعاهد التابعة له , والنظر فى الميزانية واقتراح انشاء الكليات والمعاهد

– مجمع البحوث الإسلامية : هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ويعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائ وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتوسيع نطاق العلم بها .. ويضم هيئة كبار العلماء بالأزهر

ويتألف من عدد لا يزيد على خمسين عضوا بينهم عدد لا يزيد على عشرين عضوا من غير المصريين , ويرأسه شيخ الأزهر – الثقافة والبعوث الإسلامية : تختص بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة فى نطاق أغراض الأزهر

– جامعة الأزهر : تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه , وتتكون الجامعة من عدد من الكليات للبنات وعدد من الكليات للبنين بالقاهرة والمحافظات

ومن أهم الكليات : الدراسات الاسلامية من الدراسات العربية والدعوة – اللغة العربية والتاريخ – المعاملات والادارة – الهندسة والصناعات – الزراعة – الصيدية - الطب –– اللغات والترجمة .. معاهد تعليم القراءات وتجويد القرآن , وكلية الشريعة والقانون وهى لاتقبل حاليا سوى خريجى المدارس الثانوية الأزهرية وتمنح الجامعة الدرجات العلمية الآتية : ودرجة الإجازة العالية للكليات والمعاهد (ليسانس أو بكالريوس) , ودرجة التخصص (الماجستير) ودرة العالمية (الدكتوراة

- المعاهد الأزهرية : وتنتشر فى كل قرى ومدن مصر وهى ثلاثة أنواع : المعاهد الابتدائية ومدة الدراسة بها ست سنوات , والمعاهد الاعدادية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات , والمعاهد الثانوية ومدة الدراسة بها أربع سنوات , ومنها معاهد بنين ومعاهد فتيات وتقعتحت رئاسة المعاهد الأزهرية بالقاهرة التابعة للأزهر الشريف

وهكذا تحول الازهر الشريف الى قلعة علمية ضخمة للتعليم الإسلامى فى مختلف مجالات الدين والحياة فهى رمز دائم لروح الايمان والتدين فى مصر والعالم.

مكتبة الأزهر فى التاريخ

جاء في كتاب " أخبار مصر " لابن ميسر أنه قد أسند إلى داعي الدعاة أبى الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب وذلك في أخبار سنة 517 هـ / 1123م وإسناد الإشراف على خزانة الكتب إلى داعي الدعاة، وهو رئيس دينى بعد قاضى القضاة، وهذا شاهد على قيمتها وأهميتها.

وذكر المقريزي " أن الحاكم أمر بنقل نصف الكتب التي كانت بدار الحكمة إلى الجامع الأزهر، والباقى إلى مسجده ومسجد المقس ". وقد أشارت "خطط المقريزي " إلى أن عدد الكتب بدار الحكمة بلغت مائة ألف كتاب ولنا أن نستنتج من هذا أن مكتبة الأزهر كانت تحوى أكثر من خمسين ألف كتاب.

وقد صار ت مكتبة الأزهر من أشهر المكتبات في العالم يعرفها أهل البصر والخبرة بالكتب والباحثون من الشرق والغرب ويشيرون إلى ما فيها من نفائس المخطوطات في مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات، مثل " بروكلمان " وغيره.

وهى ثانية المكتبات في مصر من حيث عدد ما فيها من الكتب، واحتوائها على كثير من نوادر المؤلفات والمخطوطات.

وكان من نظم الأزهر في القديم نظام الأروقة، وكان لكل رواق مكتبة خاصة يتم الانتفاع بها بالطريقة التي يراها أهل الرواق. وكذلك كان لبعض المساجد والمدارس القديمة التابعة للأزهر مكتبات على هذا النحو، كمسجد شيخون، ومسجد محمد أبى الدهب، وغيرهما.

وكان فيما تناوله الإمام محمد عبده من إصلاح الأزهر إنشاء مكتبة أزهرية عامة، تعيد مجد مكتبته القديمة، وتجمع شتات الكتب المتفرقة في الأروقة والمساجد، وتحفظ التراث العلمي الذي خلفه علماء الأزهر وغيرهم في العصور المتوالية من الضياع، ذلك أن كثيرا من نفائس الكتب التي كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب إلى أيدي علماء أوربا عن طريق سماسرة الكتب، فضلا عن تعرض كثير منها للحشرات والأتربة فتلفت أوراقها وبليت ومزقت وخرمت وقطعت جلودها، ولم يسلم منها كتاب إلا في النادر.

وحوالي سنة 1270 هـ (1853م) أمر ديوان عموم الأوقاف بجرد مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحاراته، وقيدت جميعها في سجلين جامعين، خصص أولهما لمكتبات الجامع الأزهر، وثانيهما لمكتبات المساجد والتكايا. وقد بلغ مجموع المجلدات في ذلك الوقت في مكتبات أروقة الأزهر وحاراته 18564 مجلدا. فإذا رجعنا الآن إلى هذا السجل التاريخي للمكتبة لا نجد من أثمن الكتب وأنفسها إلا أسماءها.

وتقدم الأستاذ الإمام محمد عبده بفكرة إنشاء المكتبة إلى مجلس إدارة الأزهر، فنالت القبول من أعضائه، وبخاصة المغفور له الشيخ حسونة النووي، شيخ الجامع الأزهر إذ ذاك، وقد وهبها مكتبته الخاصة والشيخ عبد الكريم سلمان، الذي كان عضدا قويا للأستاذ الإمام في حركات إصلاح الأزهر. وقد تحققت الفكرة في أول المحرم سنة 1314 هـ (1897م)، بعد أن لاقى صاحبها عناء عظيما في إقناع أهل الأروقة بفائدتها. وعلى الرغم مما بذله من محاولات في هذا السبيل، فقد امتنع أهل بعض الأروقة عن ضم مكتباتها إلى المكتبة الأم، كرواق الأتراك، ورواق المغاربة والشوام وقد ضمت مكتبة الصعايدة إلى المكتبة العامة سنة 1936م، وضمت مكتبة رواق الأحناف في سنة 1956 م.

وقام المباشرون للتنفيذ بتذليل صعوبات جمة في ترميم الكتب وإصلاحها وترتيبها، للحالة السيئة التي كانت عليها في خزائن الأروقة كما أسلفنا، وفى ترتيبها في أماكنها الجديدة، وتوزيعها على الفنون المكتبية. وقد ضمت هذه المكتبة عددا من أجود المصاحف خطا وورقا، وكتبا فيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد في سواها، وغير ذلك كثير.

ولم يكتف الأستاذ الإمام في تكوين المكتبة بما جمع من مكتبات الأروقة، بل دعا العظماء والعلماء، إلى المشاركة في فضل تكوينها، فاستجاب لدعوته بعض من علية الناس، ومنهم ورثة المرحوم سليمان باشا أباظة مكتبة والدهم، وهذه المكتبة هي أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية.

وكانت المكتبة تشغل ستة أماكن متفرقة داخل الجامع الأزهر، وهى : المدرسة الأقبغاوية، والمدرسة الطيبرسية، والرواق العباسي، ورواق الأتراك ورواق المغاربة، ورواق الشوام، بعد الضم إلى المكتبة الأم.

وكانت المدرسة الأقبغاوية مقر المكتبة العامة بجميع فنونها، وبها أيضا بعض المكتبات الخاصة، وفى قبتها الخارجية مكتب مدير المكتبة، وبدهليزها إدارة المكتبة وقاعة الإطلاع.

وبالمدرسة الطيبرسية طائفة من كتب العلوم التي تدرس غالبا في الأزهر، وكانت تعار للطلاب على هيئة ملازم (التغييرة) من الكتب التي تتناول أبحاثهم.

وبالرواق العباسي بعض المكتبات الخاصة، وبعض الفنون التي ضاقت بها المدرسة الأقبغاوية فنقلت إليها وقد أعدت به قاعة للمطالعة، تتسع لعدد كبير من المطالعين، وهذه الأماكن جميعها لم تنشأ أصلا لتكون مكتبات. لهذا فهي كانت غير وافية بالغرض الذي تستخدم فيه، ومفتقدة إلى كثير من الجوانب التي يجب توافرها في أبنية المكتبات.

ولقد تنبه إلى ذلك الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى، حين ولى مشيخة الأزهر في سنة **1928** م، فوضع ضمن مشروع مباني الجامعة الأزهرية مشروع بناء خاص بالمكتبة، تلاحظ فيه الحاجات اللازمة في بناء المكتبات.

وقد ظل هذا المشروع يتعثر في طريق التنفيذ حتى وضع هذا المشروع موضع التنفيذ في عهد فضيلة الإمام الأكبر المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق في **1982/3/17**م وتم بناؤها المكون من **14** طابقا وزعت عليه مقتنيات المكتبة على حسب موضوعاتها وقد تم رفع تمثيلها الإداري بعد نقلها وتحديثها إلى إدارة مركزية برئاسة فضيلة الشيخ / أحمد خليفة محمد نظرا لأهمية المكتبة في نشر الفكر والوعي في العالم اجمع في عهد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

ومكتبة الأزهر – كغيرها من المكتبات العامة – تزود روادها، على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم، بالمواد العلمية في جميع فروعها، وإن كان يغلب عليهم أنهم على مستوى خاص من الثقافة، وأن قصدهم منها الرجوع إلى المصادر النادرة من المخطوطات والمطبوعات، التي تحتويها المكتبة، ويعز عليهم الحصول عليها في المكتبات الأخرى.

والمكتبة الأزهرية لا تقصر رسالتها على أهل الأزهر من العلماء والطلاب، بل تفتح أبوابها لمحبي الإطلاع، ورواد المعرفة على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ومعاهدهم، يطالعون فيها ما يشاءون، في حدود ما تسمح به أنظمة المكتبة، وتتبادل المكتبة مع المكتبات الأخرى المخطوطات النادرة، لنسخها أو تصويرها. ويستعين الناشرون بمخطوطاتها للمقابلة عليها عند النسخ والطبع، وقد قضى بها بعض المستشرقين مددا طويلة في المراجعة والتمحيص لأبحاثهم.

وتعد المكتبة الأزهرية بمثابة الأم لمكتبات الكليات والمعاهد في القاهرة والأقاليم، تغذيها بالكتب اللازمة لها في جميع الفنون، وبخاصة الكتب التي نفدت طباعتها، أو تعثر شراؤها، لندرة وجودها في المكتبات التجارية، كما أنها تمد لجنة الفتوى بالأزهر ومجلة الأزهر

ولجان مجمع البحوث الإسلامية بالمراجع اللازمة، و كان عدد الكتب التي بدأت بها المكتبة في سنة 1897م لدى الشروع في تنظيمها 7703 كتاب. ويبلغ عدد كتبها الآن 125185 كتاب، تقع في حوالي 250000 مجلدا منها 42000 كتاب مخطوط موزعة. وكتب المكتبة موزعة على 63 موضوعا في مختلف العلوم والفنون.

وظلت المكتبة الأزهرية منذ إنشائها دون فهارس حتى سنة 1943 م، حين بدأ القائمون آن ذاك على أمر المكتبة وضع فهارس تفصيلية لها، وعانوا في ذلك كثيرا من الصعاب، حتى صدر الجزء الأول من الفهارس، وهو فهرس هجائي، يمتاز عن أمثاله من الفهارس باستيفاء البيانات عن موضوعات الكتب، مع ذكر مواليد المؤلفين ووفياتهم، وقد عنى بالمخطوطات عناية خاصة ولا سيما ما يتعلق منها بالناحيتين العلمية والفنية وذلك ببيان ما عليها من سماعات وإجازات وتصحيحات وما فيها من نقوش وزخارف تمثل روح الفن في العصر الذي تؤرخه.

وقد صدر الفهرس تباعاً في ستة أجزاء ثم صدر الجزء السابع منه وهو ملحق للجزأين الثاني والثالث في سنة 1962م وصدر الجزء الثامن وهو ملحق للجزء الخامس في سنة 1978م وتقع هذه الأجزاء في 4650 صفحة وقد أهدى هذا الفهرس إلى الجامعات العلمية في مصر والأقطار العربية وبعض جامعات أوروبا وأمريكا وآسيا وإلى بعض المبرزين من العلماء في هذه الأقطار.

ثم تم بعد ذلك إنتاج ثلاث فهارس على شكل كروت مرتبة ترتيبا هجائيا بالعنوان والمؤلف والموضوع لكل كتاب.والآن وفى عصر تكنولوجيا المعلومات قامت المكتبة مسايرة للتطور والتحديث في عالم المكتبات وسرعة نقل المعلومات عن بعد ببناء قواعد بيانات ببليوجرافية لجميع مقتنيات المكتبة من المخطوطات والمطبوعات، وتم الافتتاح التجريبي المطور لأحدث قاعات المكتبة في 2001/4/1م المزودة بأجهزة الحاسب الآلي المربوطة بشبكة المكتبة الداخلية وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) المحملة بقواعد البيانات الببليوجرافية لجميع مقتنيات المكتبة.

والمكتبة الآن في سبيل إعداد مشروع تصوير مخطوطاتها بالكامل وأوائل المطبوعات على وسائط متعددة بواسطة أحدث أجهزة الحاسبات الآلية على نفقة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبي ووزير دفاع دولة الإمارات حتى تتيسر سبل الإفادة من الرصيد الهائل لمقتنيات المكتبة واسترجاع الـ معلومات بأيسر الطرق وفى اقل وقت ممكن.

ونظراً لما تحويه المكتبة على كم هائل من نوادر المخطوطات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الهجري وما بعده ونذكر منها على سبيل المثال:-

قطعتان من مصحف كتبتا في سنة 465 هـ / 1072م ومصحف مخطوط كتب سنة 528 هـ / 1135م ومصحف مخطوط كتب في سنة 741 هـ / 1340م، أما مخطوطات القرن التاسع وما بعده من المصاحف فهي كثيرة جدا.

ومن نوادر كتب القراءات : الرعاية لتجويد القرآن، وتحقيق لفظ التلاوة - كتب سنة 557 هـ / 1161م، واللآلئ الفريدة في شرح القصيد " الشاطبية "كتب سنة 706 هـ /1306 م، وشرح الشاطبية للجعبري - كتب سنة 739هـ / 1338 م، وطيبة النشر لابن الجزري عليها خطه - كتب في سنة 847هـ /1443م.

ومن نوادر كتب التفسير : تفسير غريب القرآن للسجستاني - كتب في سنة 514 هـ / 1120 م، وتفسير سورة الفاتحة لابن جزى الأندلسي - كتب في سنة 627 هـ / 1229م، والكشاف للزمخشري - كتب في سنة 654 هـ / 1256م، من نسخة المؤلف، والتعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلى - كتب في سنة سنة 743 هـ / 1342م، الجزء الأول من القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز لأبى العباس السمين بخط المؤلف المتوفى في سنة 756 هـ / 1355م.

ومن نوادر كتب الحديث : غريب الحديث لابن سلام، المتوفى في سنة 311 هـ / 923م، والجزء الرابع من مسند أبى عوانة – كتب سنة 617 هـ / 1220م ، والجزء الأول من الإلمام في أحاديث الأحكام – كتب سنة 731 هـ / 1330م ، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي، المتوفى في سنة 742 هـ / 1340م – كتب في سنة 725 هـ / 1324م، والتوشيح على الجامع الصحيح " البخاري " للسيوطي – كتب في سنة 960 هـ / 1552م.

ومن نوادر كتب الفقه : عمدة الطالبين لابن الوزير – كتب في سنة 603 هـ /1206 م بخط المؤلف، وزاد الملوك لابن المظفر جعله مؤلفه هدية للسلطان قلاوون – كتب في سنة 860 هـ /1455م، وتفصيل عقد الفرائد لابن الشحنة بخط المؤلف في سنة 895 هـ / 1489م، وحاشية الحموي على شرح الأشباه والنظائر بخط المؤلف في سنة 1097هـ / 1685م.

ومن نوادر كتب التاريخ : رسوم دار الخلافة للصابي – كتب في سنة 455 هـ / 1063م ، ومعجم ما استعجم للبكري في تقويم البلدان – كتب في سنة 596 هـ / 1199م، والمجمع المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر بخط المؤلف في سنة 829 هـ / 1425م ، وإنباء الغمر بأنباء العمر للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى في سنة 852 هـ/ 1448م كتب في سنة 879 هـ/ 1474م

ومسودة حسن المحاضرة للسيوطي بخطه واقتطاف شقائق النعمان من رياض الوافي بوفيات الأعيان – كتب في سنة 990 هـ / 1582 م بخط المؤلف، وأربعة وعشرون جزءا من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وآثار الأول في ترتيب الدول للحسن بن العباس بخط المؤلف في سنة 709 هـ / 1309م .

ومكتبة الأزهر الآن صورة مشرفة للأزهر بوصفها مكتبة إسلامية كبرى تستقبل العلماء والباحثين وطلاب العلم والمعرفة من البلاد الإسلامية والعربية ومن العالم قاطبة وخاصة بعد ثورة التحديث والتطوير ببناء قواعد بيانات ببليوجرافية لجميع مقتنيات المكتبة

الأزهر مؤسسة تنويرية

خطة بدأت في هدوء لإعادة تدريس الكتب الأساسية في الفكر الإسلامي بالمساجد التي أُلفت وشرحت بها للمرة الأولى، وكانت البداية بالأزهر.

العبور من ساحة الجامع الأزهر الشمالية وصحنه باتجاه الضلع الجنوبي ليس مجرد عبور لعدة عشرات من الخطوات في المكان، بل عبور في الزمان.

يتجاوز الداخل باتجاه عمق الجامع لافتة الترميم الأخير ورواد المسجد من المصلين والسائحين إلى زمن يبدو سرمديا في ثباته، حيث تتراص في الجهة الجنوبية من المسجد أروقة العلم وقد بقيت كما هي باستثناء رواق الجبرتي الذي تحول إلى مكتب لإمام المسجد على بابه لوحـ ـة إعلانية تحمل تحذيرين ينتهي أحدهما بخطأ لغوي لا يجوز في هذا المقام.

في الممر أمام الرواق العباسي، طلاب يراجعون دروسهم في حلقات وبعضهم يستسلم لإغفاءة لائذا بالجدار. مهرجان من ألوان البشرة السمراء والصفراء والبيضاء. وباستثناء تغيير الجلباب والجبة القديمين بـالجلباب الحديث و"تي شيرت" والبنطلون يبدو المشهد لوحة خارجة من وصف الجبرتي لواقع الأزهر المملوكي.

تجربة استعادة الدور التعليمي للجامع الأزهر الجديدة تستحق التوقف أمامها، صحيح أن أروقة الأزهر لم تغلق يوما، لكنها طوال ما يقرب من نصف القرن كانت قاصرة على استقبال دروس الوعظ وبعض الدروس في الشريعة، في تغيير لوظيفة الأزهر الذي اضطلع بدوره التعليمي بعد سنوات قليلة من بنائه وافتتاحه للصلاة عام 361 هـ على يد جوهر الكاتب الصقلي؛ قائد جند أبي تميم معد.. فقد جاء التحول سريعا على يد العزيز نزار الذي أضاف إلى الجامع وظيفة المعهد العلمي.

هذه الوظيفة التنويرية هي التي أسست لمكانة الأزهر لاحقا، كمؤسسة للرقابة على أعمال الحاكم والوقوف في وجه المستعمر. وكان من المنطقي أن يحتل الأزهر هذه المكانة بوصفه طليعة التنوير في المجتمع، وكان من المنطقي أيضا أن تكون هذه المكانة السبب الرئيسي في التربص السياسي بالأزهر. وكانت السياسة دائما هي التي تحدد دور الأزهر فتدعمه وتؤازره أو تضيق عليه وتحدد سلطاته العلمية التي نشأت عنها مكانته السياسية.

وبعد حفاوة الولاة الفاطميين الذين أوقفوا الأوقاف على الأزهر وقاموا بالتجديدات والتوسعات واحدا بعد الآخر، أهمل الأيوبيون الجامع وضيقوا عليه، حتى إن صلاح الدين منع الخطبة فيه، واستمر هذا الحال نحو قرن، عاد بعده الأزهر إلى دوره.

وكان الظاهر بيبرس من زاد في بنائه وأعاد الخطبة إلى منبره وحلقات العلم إلى أروقته، أما السلطان قايتباي فقد كان من أكثر من أحسنوا إلى الأزهر. ويقول ابن إياس إن هذا الوالي كان يتخفي في عباءة مغربية ويذهب إلى الجامع ليقف على أحواله.

عصر التشريع

كان المد والجزر في دور الأزهر يتوقف على التوجه الأيديولوجي للنظام الحاكم ومدى تعاطفه أو عدم تعاطفه مع رسالة الجامع، ومع العام 1911 دخل الأزهر مرحلة جديدة بصدور قانون ينظمه ويحدد تخصصات الدراسة فيه، ومنذ ذلك التاريخ اندرج الأزهر كمؤسسة من مؤسسات التعليم المصرية واستقر في المراحل قبل الجامعية كتعليم موازٍ لعشرات من الأنواع الأخرى التي تشكل كرنفالا غريبا يصنع ألوانا متباينة من الوجدان المصري.

علي أية حال صار الأزهر جامعة وأضيف في الستينيات إلى علومها الشرعية والأدبية العلوم الطبيعية، ومنذ ذلك الوقت تضاءل دور الجامع أمام المعاهد والجامعة.

عودة إلى الأزهر الجامع

التجربة التي بدأت في الرواق العباسي منذ فترة قصيرة لتدريس مواد الجامعة في الرواق خطوة لإعادة الانسجام إلى اسم الأزهر الذي لم يعد يعني اليوم شيئا واحدا بل ثلاثة: المشيخة، والجامعة، والجامع.

في الحادية عشرة والنصف كان موعد الدرس الذي سيلقيه الدكتور حسن الشافعي الأستاذ بدار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية برواق الشوام في مادة المنطق. وقبل الموعد تجمع الطلاب داخل الرواق في انتظار الشيخ الأستاذ، طلاب البلد الواحد أو الصف الواحد ينتظمون في حلقة مراجعة أو استرخاء .

المصريون بالرواق ليسوا من القاهرة فقط، بل يأتون من المحافظات، من كليات الأزهر والكليات العادية، جامعيون من صفوف مختلفة وطلاب دراسات عليا، فليست هناك شروط لحضور الدرس، فيما يقول طارق محجوب مسئول التنظيم بالرواق الذي يسميه "حوزة": يأتي بعض الناس من غير الدارسين غالبا لأنهم يتصورون الدرس حلقة وعظية وعندما يجدونه درسا متخصصا في المنطق أو علم الكلام ولا يستطيعون المتابعة ينصرفون.

الدور الأقليمى و الدولى للأزهر :

ينظر العالم الخارجى بتقدير بالغ إلى الأزهر الشريف بإعتباره المؤسسة الإسلامية العلمية العالمية الرائدة التى تشع المعرفة و العلم على الدنيا منذ قرون . فالدور الإقليمى و الدولى للأزهر مقدر عبر العصور فمنذ إنشائه منذ أكثر من ألف عام وهو لا يعلم المصريين وحدهم و إنما كان و مازال يعلم المسلمين فى كل مكان . ولقد توسع الأزهر الشريف فى سياسة تقديم المنح لأبناء الأمة الإسلامية فى كل مكان.

ويقدم الأزهر أيضا برنامج الأئمة و الدعاة حيث يستضيف من يقومون بالدعوة وتدريس الإسلام و اللغة العربية من كل مكان .

كما أن الأزهر به بعثاته التعليمية فى أماكن عديدة من العالم كجنوب إفريقيا وماليزيا و إندونيسيا.

الازهر فى ايران

في اقتراح هو الأول من نوعه طلبت السفارة الإيرانية بالقاهرة من شيخ الأزهر إنشاء فرع لجامعة الأزهر بإيران لدعم التقريب بين مذهبي السنة والشيعة، وتحقيق التبادل العلمي بين الأزهر والحوزة العلمية في طهران. ومن جهته رحب شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي بهذا الاقتراح الذي جاء خلال لقائه اليوم الأربعاء بالمستشار الثقافي الجديد للسفارة الإيرانية بالقاهرة.

ومن المتوقع قريبا إرسال علماء أزهريين لإلقاء محاضرات بالجامعات الإيرانية، على أن يقوم علماء إيرانيون بإلقاء محاضرات في جامعة الأزهر. وكذلك سيتوجه عدد من علماء الأزهر المتخصصين في الفقه وعلوم القرآن من الأزهر الشريف لتدريس علم أهل السنة من أجل دعم التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الازهر فى لبنان – اتفاقية تعاون ثقافى علمى –

في خطوة رائدة ومتميزة شهدت مدينة بيروت يوم التاسع من شعبان **1420** هجرية الموافق لسابع عشر من تشرين الثاني **1999** ، توقيع اتفاق تعاون علمي وثقافي بين جامعة الأزهر في جمهورية مصر العربية وجمعية المشاريع الخيرية الإسلامية في الجمهورية اللبنانية .

وكان رئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم قد وصل إلى بيروت بدعوة من جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية ، يرافقه مدير الشئون الثقافية والعلمية الدكتور محمد صالح وقام بعدد من الزيارات الرسمية و الجولات على المؤسسات التعليمية .

وقد جرى حفل توقيع اتفاق التعاون في بيروت بحضور رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية سماحة الشيخ حسام قراقيرة ونائبه الدكتور عدنان طرابلسي وأعضاء الهيئة الإدارية ، وحشد كبير من المشايخ والمسئولين ومديري الثانويات المعاهد التابعة للجمعية .

بدأ الحفل بتلاوة ءايات من القرءان الكريم ، ثم ألقى رئيس فرع الجمعية في البقاع الشيخ أسامة السيد كلمة ترحيبية تناول فيها دور الأزهر وأهمية ومعاني توقيع هذا الاتفاق . ثم قام رئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم ورئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية سماحة الشيخ حسام قراقيرة بتوقيع التعاون الذي ينص على قيام علاقات تشاور وتعاون في القضايا العلمية والثقافية ذات الاهتمام المشترك وتنسيق النشاطات العلمية والثقافية.

بعد ذلك ألقى الدكتور هاشم كلمة جاء فيها : لقد كانت إجابتنا الفورية والمدروسة لعقد هذه الاتفاقية من باب الرغبة في المحافظة على الأزهر تراثا ومنهجا ودراسة ، وأن نوفد إلى أبناء الأمة من أعضاء هيئة التدريس من يسهمون مع إخوانهم هنا وفي كل مكان ، ونستقبل من أبناء المسلمين ومن طلابهم من يدرسون في جامعة الأزهر ، ولا يخفى ما تعانيه أمتنا من تحديات كثيرة علينا أن نواجهها بالعلم والفكر حتى نستطيع أن ندحر هذا الغزو الفكري المسموم .

إننا بحاجة إلى الثقافة الإسلامية الأصيلة وهو أمر نرغب بالتعاون فيه معكم أيها العلماء والمشايخ الأفاضل ، فأن جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية تمثل كما رأيت قلاعاً للعلم وحصوناً للمعرفة تحتاج إليها أمتنا .

إن المسلمين الذين يمثلون أكثر من خمس سكان العالم بحاجة إلى الوحدة والتواصل والتلاقي كما نتلاقى اليوم ، وعلينا أن نعتصم بحبل الله وأن نزيل أسباب التصدع والفرقة ،

فالرسول حذرنا من أن نتفرق ونتمزق ، ونحن بين أيدينا سر قوة الأمة ألا وهو القرءان الكريم الذي يحمل مبادئ النصر ، وقد أدرك أعداء الأمة هذه الحقيقة حتى قال قائلهم في أحد الاجتماعات الرسمية : لا قرار لنا ما دام هذا المصحف بأيدي المسلمين)) .

وتابع الدكتور أحمد عمر هاشم قائلاً : إننا بحاجة إلى أمثال هذه الجمعيات والمعاهد الإسلامية التي تعمل على نشر القرءان الكريم ونشر الهداية والثقافة الإسلامية الحقيقة التي لا غلو فيها ولاشطط ولا تطرف كما تفعل جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية)) . وختم الدكتور هاشم كلمته بالتعبير عن عميق سعادته لتوقيع هذا الاتفاق مع جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية ءاملاً أن ((يكون هذه خطوة باتجاه المزيد من التعاون على البر والتقوى ، متمنياً لجمعية المشاريع المزيد من الإنجازات والمؤسسات والنجاح على درب نشر العلم والثقافة المتنورة)) .

ثم ألقى رئيس جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية سماحة الشيخ حسام قراقيرة كلمة استهلها بالترحيب برئيس جامعة الأزهر وقال ((إننا إذ نرحب بضيفنا الكبير في ربوع بلادنا مكرمين لشخصه وما يمثل ، نؤكد على الدور التاريخي للأزهر الشريف باعتباره صمام أمان في حفظ الشريعة المطهرة والدفاع عنها والتمسك بمذاهب العلماء المعتبرين ، وليس خافياً ما يمثله الأزهر اليوم من مرجعية تجاوزت حدود الوطن العربي باتجاه الأمصار والأقطار شرقاً وغرباً ، ولن يؤثر على هذه المرجعية والمكانة تأسيس وانتشار الكليات والجامعات في أقطار مختلفة .

ونحن إذ نعتز بتوقيع أتفاق التعاون العلمي والثقافي مع جامعة الأزهر ، نعد أن نبذل قصارى الجهد لنقدم طلاباً يفتخر بهم ويرفعون راية العلم بجهودهم ومثابرتهم للوصول إلى المبتغى وتحقيق المرتجى بعون الله.

الدكتور هاشم يفتتح مسجد الهدى في بشامون

من جهة ثانية ، اصطحب سماحة الشيخ حسام قراقيرة والدكتور عدنان طرابلسي رئيس جامعة الأزهر والدكتور محمد صالح لافتتاح ((مسجد الهدى)) في بشامون ، وقد رافق الوفد عدد من لجان المساجد ولفيف من المشايخ إضافة إلى أهالي المنطقة .

وقد كان في استقبال الضيف كشافة المشاريع وفرق النوبة الرفاعية التابعة لفريق المشاريع للإنشاد بأعلامها وبيارقها الخضراء ، وقد رفع الدكتور هاشم وسماحة الشيخ حسام قراقيرة الستار عن اللوحة التذكارية التي أرخت لبناء هذا الصرح الإسلامي العظيم .

بعدها ألقى الشيخ قراقيرة كلمة ترحيبية بالضيف وتحدث عن دور رسالة المسجد في تقوية أواصر التعاون بين المسلمين ونشر الدعوة الحقة . كما تناول دور الأزهر الشريف في إغناء المساجد بالدعاة والمدرسين .

الازهر وتقارب المذاهب

كان الأزهر قديماً هو أساس إشعاع الفكر الثقافي الوحيد في المجتمع، ولم يكن هناك فكر إلا الفكر الناجم عن المرجعية الدينية التي يؤكدها الأزهر، ثم بدأت المدارس الحديثة تأخذ هذا الدور وانقسم المثقفون إلى مثقفين تلقوا علومهم في الأزهر وآخرين تخرجوا في المدارس الحديثة التي لم تجعل للدين أهمية كبرى في الدولة، فنشأ نوع من الازدواجية الفكرية والثقافية التي قد تؤدي لحدوث تعارض كما حدث في الحركة الثقافية في بلادنا إبتداءاً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وطول القرن العشرين.

والحقيقة أن المجتمع الآن يثقف نفسه دينياً فأصبح هناك أناساً مجتهدين في الفقه الإسلامي رغم تخرجهم من كليات غير الأزهر كما أن أقسام الشريعة في كليات الحقوق تبث هي الأخرى الفكر الإسلامي، والأزهر من جانبه يتجاوب مع المجتمع عبر العناصر التي خرجت منه واندمجت مع مشاكل الناس وقرأت في الثقافات المختلفة.

أما المفكر د. عبد الصبور شاهين فيقول: كان الأزهر قديماً هو الحكم العدل والفيصل في كل قضية خاصة فيما يتعلق بالدين وكان رأيه مستنيراً يؤخذ به في كل مكان، بل كان محمد علي في بداية حكمه يستشير علماء الأزهر في كل كبيرة وصغيرة، وقاد علماؤه أيضاً الاعتراض على محمد علي حينما حاد عن الطريق المحدد له،

لكن للأسف الآن الملاحظ أن الحركات التجديدية وربط الناس بالدين تأتي من خارج الأزهر، وهي أكثر حيوية وأكثر ارتباطاً بالناس مثل عمرو خالد مثلاً، وبقدر ما يكون الفكر المتجدد مرتبطاً بالحركة السياسية سوف يكون بعيداً عن الأزهر، فعلاقة الدولة بالأزهر وثيقة جداً، والحركات السياسية حركات معارضة سياسية لن تخرج عن المؤسسة التعليمية القريبة من الدولة، وقد خرج عدد كبير من المفكرين الإسلاميين من الأزهر في النصف الثاني من القرن العشرين وكان نشاطهم خارج الأزهر لا داخله مثل الشيخ الغزالي.

ويضيف: لقد كان الأزهر هو المدافع الأساسي عن العقيدة ومنابتها ومرجعياتها الأساسية وعلومها، وهذا ما جعله في موقف المحافظ فالدفاع دائماً ما يجعل المرء في موقف المحافظ، ومن غير الممكن أن يجد أي شخص وهو يدافع وأظن وأن المحافظة وظيفة إيجابية كان الواجب أن يقوم بها الأزهر ولكن مع التجديد والاستمرار في المحافظة على الأصول.

وتؤكد المفكرة د. أمنة نصير الأستاذة بجامعة الأزهر: أن الأزهر حصل عبر العصور على شعبية في التصدي لكل فتنة تقوم على أساس الدين كان هو القائم بالتعريف بحقيقة الأمور، ويشيع روح التسامح والأحكام الإسلامية التي تضمن الوحدة بين المسلمين بل وتحترم غير المسلمين من أهل الذمة

. لقد ساد في جامع الأزهر روح التعبد وفي جامعته الدراسة، وكان يتاح لكل فرد أن يدرس فيه رغبة في العلم في أي وقت من العمر وفي أي مرحلة فأي شخص حاصل على ليسانس أو شهادة عليا ويريد أن يدرس علوم الأزهر دراسة منتظمة ومنهجية بدلاً من قراءتها في كتب كان بإمكانه أن يفعل أما اليوم فقد تم إغلاقه..

وبذلك أصبحت سياسة الأزهر انغلاقية حيث لم تكن مهمته في أي وقت أن يخرج موظفين، حيث كان يمكث فيه الطالب للعلم ثم يذهب إلى أهله لتعليمهم كيفية تعاليم الشريعة الإسلامية من ميراث ومعاملات ولدينا مثل حي وهو مفتي الجمهورية الشيخ علي جمعة نفسه كان خريج تجارة ثم تعلم في الأزهر.

وتقول د. سامية الجندي الأستاذ بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر: لقد كان بالأزهر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية وهي الآن معطلة منذ 40 عاماً وها هي تستعيد أنشطتها بعد توقف برئاسة فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر السابق وكانت أولى بيانات الدار تحريم تكفير المذاهب وخاصة بين السنة والشيعة، وشددت على تحريم التكفير من أتباع المذهبين باعتبارهما أهل قبلة واحدة

بل واستنكرت دار التقريب مساهمة البعض سواء عن جهل أو عصبية في الخلط بين الاختلافات المذهبية والصراعات السياسية واعتبر أن ما يحدث من مأساة في العراق اليوم من قتل وتهجير بين أبناء الشعب الواحد باختلاف مذاهبهم وأعرافهم لا يقتصر على السنة والشيعة بل يمتد بين فصائل الشيعة بعضها البعض والعكس صحيح.

وتضيف: لا بد من إحياء مؤسسات الأزهر واستخدام علماؤه في الصد والتحذير من الخطر الذي يواجه المسلمين في العراق ولبنان وغيرهما ليس من السنة على الشيعة أو من الشيعة على السنة بل من أعداء الإسلام على الأمة كلها، والتأكيد على أنه لا خيار لديهم إلا الاتفاق على أهداف ومباديء مشتركة للعيش في سلام للجميع.

ويقول د. محمد عبد المنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر السابق: يجب أن يقوم علماء الأزهر بالدور المنوط لهم في التهدئة وإيقاف حمامات الدم والمجازر شبه اليومية لإحباط المخططات التي تهدف لإيقاد الفتنة بين أبناء الشعب العراقي بجميع طوائفه، لا بد أن يعمل على وقف استمرار تهييج القلوب وإشعال نار الفتنةأهداف ومباديء الطائفية والتقسيم في البلدان العربية مما يؤدي إلى فوضى مدمرة وحروب لن يكون أحد فيها غالب بل المسلمون مغلوبون بجميع طوائفهم، فكل بلد إسلامي لا يخلو من أقليات سواء كانت مذهبية أو عرقية.

وترى د. مهجة غالب الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الأزهر أن:
هناك وسائل متعددة يمكن إحيائها واستخدامها في الأزهر الشريف لرد هذه الفتن مثل أن يقوم شيخ الأزهر بالتقريب بين أصحاب هذه المذاهب بشرح كل مذهب والتأكيد في النهاية على أن الجميع أصحاب قبلة واحدة وليسوا أصحاب ملل متناحرة، لا بد أن تقوم بعثات الأزهر الشريف بالسفر والالتقاء بأصحاب هذه المدارس في الوقت الذي يوفر لهم الأزهر فيه ما يحتاجون إليه من أموال سواء للمعيشة أو للسفر والتأكيد دائماً على أمر الله تعالي "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"، كما أنه من الواجب على الأزهر أن يصدر الفتاوى التي ترأب الصدع مثل حرمة تكفير الآخر، وتكون هذه الفتاوى علانية بعيدة عن السياسة.

أهم المراجع والمصادر

- عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة – **1984**م.
- عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، **1983**م.
- على عبد العظيم، مشيخة الأزهر، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، **1398** هـ = **1978**م.
- عبد الرحمن الجبرتي – عجائب الآثار في التراجم والأخبار – دار الجيل – بيروت.
- عبد العزيز محمد الشناوي – الأزهر جامعا وجامعة – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – **1984**.
- محمد عبد الله عنان – تاريخ الجامع الأزهر – مكتبة الخانجي – القاهرة – **1378**هـ – **1958**.
- علي عبد العظيم– مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن منشورات مجمع البحوث الإسلامية القاهرة **1398**هـ – **1978**م..

- **مكتبة الأزهر الشريف 2006/2005**
- **الأزهر جامع وجامعة / عبد العزيز محمد الشناويتاريخ الجامع**
- **الأزهر / محمد عبد الله عن انمنشورات مجمع البحوث الإسلامية 1978م**

فهرس